نـــــور المسيـــح

Φ Ω Σ ΧΡΙΣΤΟΥ

مجلة شهرية

Issue No: 130 عدد:

June 2018 شهر حزيران

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

تذكار جميع القديسين

الملكان المُعظّمان قسطنطين وهيلانة

لما عاين قسطنطين رسولك في الملوك
رسم صليبك في السماء يا ربُّ.
وحصل على الدعوة مثل بولس منكَ لا من البَشَر.
اودع المدينة المتملكة في يدك العزيزة.
فبشفاعات والدة الإله احفظها دائمًا في سلام
يا مُحبَّ البَشَر وحدهُ.

ايها الربُّ البارىءُ كل الخليقة
ان المسكونة تقدِّم لك كباكورة الطبيعة الشهداء المتوشِّحين بالله.
فبطلباتهم وبشفاعات والدة الإله احفظ بالسلام التّام كنيستك يا كثير الرحمة وحدك.

محتويات العدد

2	أحكام الله
3	كلمة غبطة البطريك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث
4	النسك في الحياة الرهبانية
5	العنكبوت والحوت
6	الدودة السماوية
7	فصار خوفٌ عظيم
8	هل يجب أن تتغيّر المسيحية
10	القديس يوحنا... وتربية الأولاد
11	الرسول تَدّاوس
12	بولس قلب المسكونة المتسعُ
14	غِنَى مصرَ بشهدائها
16	الشيخ ايرونيموس والقاضي
17	ما العمل مع كاهن سيِّء
18	محبّة الذّات
19	---------
19	---------
19	---------
20	القديس نكتاريوس
21	جزنا بالنار والماء
22	الأرانب والجنس
23	الأرثوذكسية قانون إيمان
24	العظات الثماني عشرة عن المعمودية

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا - الشارع الرئيسي - ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

أحكام الله

إعداد راهبات

دير مار يعقوب الفارسي المقطّع

(ددّه – الكورة)

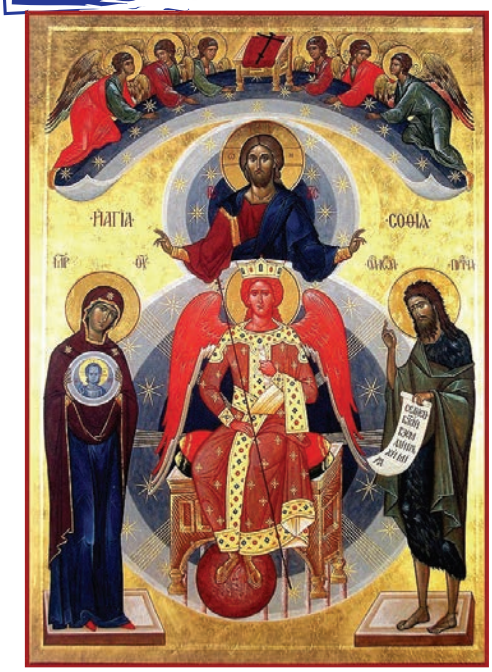

ابتهل شيخ قدّيس إلى الله لكي يكشف له: «**لماذا معظم الصِّدّيقين والأتقياء فقراء يَشْقَوْن ويُظلَمُون، فيما العديد من الخطأة والظالمين أغنياء يتنعّمون؟ وكيف تُترجم أحكام الله هذه؟**» وإذ أراد الله أن يكشف له سؤال قلبه أوحى إليه أن "اذهب إلى العالم وسوف ترى تدبير الله".

قام الشيخ دونما إبطاء، وانطلق للحال باتّجاه العالم، فوجد نفسه يسلك طريقًا واسعًا يعبره الناس بكثرة، وكان هناك مرج فسيح وصُنْبُورُ ماء عذب. اختبأ الشيخ في جوف إحدى أشجار المرج مترقّبًا منتظرًا.

وبعد هنيهة مرّ بالمكان رجل غنيّ، فَتَرَجَّل عن حصانه وجلس ليأكل. ثمّ أخرج كيس نقود يحوي مئة ليرة ذهبيّة وأخذ يعدّها. ولمّا انتهى من عدّها ظنّ نفسه أنّه أعادها إلى مكانها بين طيّات ثيابه بيد أنّها سقطت على الأرض، دون أن يلاحظها لعجلته، ثمّ امتطى جواده من جديد وانطلق في طريقه مخلّفًا وراءه ذهبيّاته الثمينة.

لم يمضِ زمن قليل، حتّى مرّ بالموضع نفسه عابر سبيل آخر، هذا وجد النقود على الأرض، فالتقطها وحثّ خطاه مبتعدًا. وبعد ذلك أتى ثالث وكان فقيرًا متعَبًا ينوء تحت حمله الثقيل، يسير على قدميه متمهّلًا، فجلس هو أيضًا هناك ليرتاح. وفيما هو يخرج خبزة يابسة ليأكلها، جاء الغنيّ ووقع عليه قائلًا بغضب: "**أسرع وأعطني النقود التي وجدتها**". فأجاب الفقير بيمينٍ معظّمة بأنّه لم يجد شيئًا. فضربه الغنيّ بِسَيْرٍ حصانه على رأسه ضربة أردته صريعًا، ثمّ شرع يفتّش ثياب الفقير وأغراضه، ولمّا لم يعثر على شيء ذهب يأكله النَّدم.

أمّا الأب الشيخ الذي كان يشاهد كلّ شيء، فأخذ ينتحب من جرّاء القتل الجائر، متوسّلًا إلى الربّ: "يا ترى ما هي مشيئتك، وكيف يحتمل صلاحك هذا الأمر؟!" للحين حَضَرَهُ ملاكٌ خاطبه قائلًا: «**لا تحزن أيّها الشيخ، لأنّ ما يحصل إنّما بتدبير الله من أجل التأديب والخلاص. إعْلَمْ أنّ الذي أضاع المال هو جارٌ لذاك الذي وجدها. هذا الأخير هو صاحب بستان يساوي مئة ليرة ذهبيّة، وقد أخذه منه الغنيّ الجَشِعُ بخمسين فقط وبطريقة غير قانونيّة. وبما أنّ الجار الفقير توسّل إلى الربّ أن يأخذ العدلُ مجراه، شاء الله أن ينال مطلبه مضاعفًا إذ حصل على مئة بدل الخمسين. أمّا ذاك الذي قُتل ظُلمًا، فكان ارتكب جريمة قتل هو نفسه في الماضي، فإذ أراد الله أن يخلّصه ويطهّره من خطيئة القتل دبّر أن يُقتَل هو ظلمًا لِتَخْلُصَ نفسه. أمّا الجَشِعُ الطمّاع الذي سبّب القتل، فقد كان مزمعًا أن ينتهي أمره في الجحيم بسبب محبّته للفضّة. لذا سمح الله أن يقع في خطيئة القتل لكي تتوجّع روحه فيطلب التوبة والرحمة. وها هو الآن قد ترك العالم، وذهب يطرق باب أحد الأديار ليترهّب ويبكي خطاياه. أمّا أنت، فَعُدِ الآن إلى قلّايتك، ولا تُكْثِر من فحص أحكام الله لأنّها بعيدة عن الكشف والتنقيب.**»

إنّنا نحن معاشر البشر نحاول أن نبحث عن أمور تفوق قدراتنا. فحيث يضع الله نقطة مثلًا، لا نستطيع نحن أن نستبدلها بعلامة استفهام. وكخاتمة، فلنسمع **القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم** يدعونا قائلًا: «الأحزان تُوَلِّد الصبر، ومحبّة الله تعرف مقدار تحمّلنا للأحزان. العناية الإلهيّة لا تُفَسَّر واهتمامه بنا لا يُدْرَك. إنّ أحكام الله عميقة جدًّا».

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة الاحتفال بعيد القديسَيْن العظيمَيْن والمُتوَّجَيْنِ من الله قسطنطين وهيلانة

« لقد أبغض مساهماك قسطنطين وهيلانة الضلالة. وتاقا إلى جمالك المأثور وملكوتك السماوي. أيها المسيح الكلمة فمسحتهما بدهن الابتهاج على منوالٍ غريب، وَأَهَّلْتَهُمَا أن يملكا بإشارتك على الأرض أول مرةٍ بحسن عبادةٍ.»

هذا ما يصدحُ بهِ مرنم الكنيسة.

أيها الآباء الأجلاء والإخوة المحترمون
أيها المسيحيون الزوار الأتقياء.

تبتهجُ اليومَ سريًا كنيستنا المقدسة ولاسيّما كنيسة أُورشليم في عيد تذكار القديسَيْن المُشَرَّفَيْن المِلِكَيْن العظيمَيْن المُتوَّجَيْنِ من الله والمُعادِلَي الرُّسُلِ قُسطنطين وهيلانة اللذين أعادا إعمار المزارات، والاماكن المقدسة وشيّدا الكنائس الفائقة الروعة من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى قاما بتدشين **المسيحيّة الروميّة** في المسكونة والعالم أجمع.

إنّ القديسَيْنِ العظيمَيْنِ المِلِكَيْنِ والمُعادِلَي الرُّسُل «لم يأخذا عِزَّ المُلكِ من البشر. بل من النعمة الإلهيةِ من السماءِ» وكما يؤكد أيضًا مرنم الكنيسة الذي يقول:

«يارَبُّ إن قسطنطين الذي هو رسولك في الملوك، لما شاهد رسم صليبك في السماء عيانًا، وبمثابة بولس قَبِلَ الدعوة منك لا من البشر، وأودع بيدك المدينة المتملكة، فاحفظها في سلامٍ كل حين، بشفاعات والدة الإله يا محب البشر وحدك».

لهذا فقد رفعت أخوية القبر المقدس اليوم مجدًا وشكرًا للإله الثالوث القدوس، مُتممينَ بطريركيًّا خدمةَ القداس الإلهيّ في كنيسة الدير البطريركيّ المُشَيَّدةِ على اسمِهما في تذكار عيدهما السنوي المقدس، وهذا لأنّ القديسَيْنِ المَلِكَيْن (**قسطنطين وهيلانة**)، مع القديسِينَ الآخرين قد أنشأوا طغمة االمُثقفين المقدسة، ألا وهي اليوم أخوية القبر المقدس االمُوقَّرة في الأرض المقدسة في مكان **آلام**

وَصَلْبِ إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ودفنهِ الثلاثيّ الأيام وقيامتهِ من بين الأموات.

ومن الجدير بالذكر ما كتبهُ **الإمبراطور العظيم قسطنطين** في رسالتهِ إلى **مكاريوس أسقف كنيسة أُورشليم** لبناء مكان الفداء والتضحية (أي القبر المقدس) قائلًا:«إن المكان الأكثر جمالًا وروعةً في العالم جديرٌ أن يُزَيَّنَ ويُجَمَّلَ.» (**حياة قسطنطين كتاب تاريخ الكنيسة لإفسافيوس رقم ٣ فصل ٣٣**)

«الْقِدِّيسُونَ الَّذِينَ فِي الأَرْضِ وَالأَفَاضِلُ كُلُّ مَسَرَّتِي بِهِمْ.» (مز١٥:٣) هذا ما يترنمُ بهِ داود النبي. حقًا لقد جعل الرب القديسَيْنِ قسطنطين وأمهُ هيلانة جَديرَيْنِ بكل مديحٍ أبديًا وعالميًا، وذلك لأنّ الفضل يعود لهما في البقاء والمحافظة على الشهادة الحيّة **لربنا يسوع المسيح وللحضور المسيحي** في هذه الأرض المقدسة والشرق الأوسط، هذا الشرق المُعذب الذي يعاني من الأعمال الإرهابية والحروب الأهلية.

لهذا فنحنُ الذين نقطنُ ونحيا في هذه الأرض المقدسة مع المُرَنِّم نهتِفُ قائلين:

«السلام عليكَ يا قسطنطين الكليُّ الحكمة. يا ينبوع الأرثوذكسية. الذي يروّي كلَّ المسكونة دائمًا بسواقي مياههِ العذبة. افرح يا جذرًا نبتَ منهُ الثمر الذي يغذّي كنيسة المسيح. افرح يا فخر الأقطار المجيد، وأول الملوك المسيحيين. افرح يا فرح المؤمنين».

كل عام وانتم بألف بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

النُسك في حياة الرهبنة للقديس باسيليوس الكبير

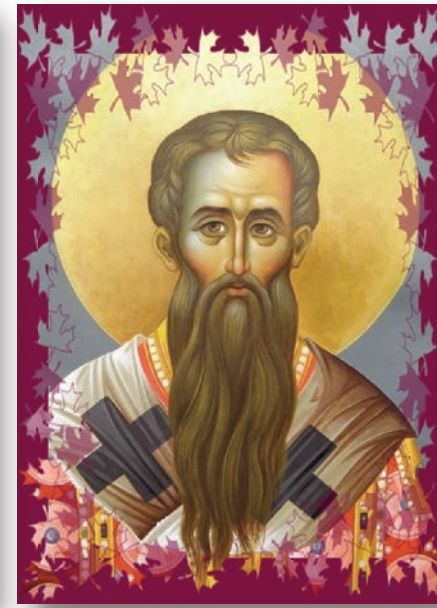

وَسُئِلَ ٱلقديس باسيليوس:«هل ٱلنُسك ضروري للتكريس» ؟!– تتمة

✝ – ومن معاني الكتاب الإشارة أحيانًا إلى «الضحك» على أنه ابتهاج النفس بالخيرات ، كما قيل:

* – قالت **سارة**: «إن الله صنع لي ضحكًا» (تك٢١:٦).

* – وقال **الرب يسوع**: طوباهم الباكون الآن (على خطاياهم)، لأنهم سيضحكون» (لو٦:٢١). أي سيفرحون بالأبدية.

* – وقال **أيوب الصدِّيق**: «إنه يملأ أفواه الصدِّيقين ضحكًا» (أي٨:٢١).

✝ – فمن هذا كلّه، نرى أن ذلك إشارة لفرح النفس بخيراتها، لا عن الضحك الجُسماني.

✝ – وقد تكون هناك أعمال أخرى، ليست فيها خطيئة، ومسموح بها لأجل حياتنا، ومع ذلك يجب أن نزهد فيها، إذ كان ذلك من أجل ربح الإخوة، كما فعله الرسول بولس القائل:

* – «إِنْ كَانَ آخَرُونَ شُرَكَاءَ فِي السُّلْطَانِ عَلَيْكُمْ، أَفَلَسْنَا نَحْنُ بِالأَوْلَى؟ لكِنَّنَا لَمْ نَسْتَعْمِلْ هذَا السُّلْطَانَ، بَلْ نَتَحَمَّلُ كُلَّ شَيْءٍ لِئَلَّا نَجْعَلَ عَائِقًا لإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ.» (١ كو٩:١٢).

✝ – والنسك يقلع شهوة اللذة، التي تخدع النفس، مثل «صنارة» الصياد، وبها نسقط في الخطيئة، وننساق للموت (الهلاك).

✝ – وحتى الطعام الذي قنعنا به، والذي هو ضروري لحياة الجسد، فلنهرب من امتلاء البطن منه. فالذي مات مع المسيح، هو الناسك (الزَّاهد) بالحقيقة.

✝ – والنُسك هو أساس النجاح (النمو الروحي)، ويساعدنا على انتاج الثمار (الأعمال) الصالحة وَيَقلَعُ الأشواك المُعَوِّقة نموها، كما قال الربّ.

✝ – والنُسك أيضًا تخافه الشياطين وتهرب منه، كما قال الربّ: «إنّ هذا الجنس، لا يخرج إلَّا بالصلاة والصوم» (مت١٧:٢١).

* * * * *

(١٨) عن اختلاط الرهبان بالرَّاهبات

وَسُئِلَ ٱلقديس باسيليوس:«كيف يجب أن يجتمع الأخوة (الرهبان) بالراهبات» ؟!

فأجاب القديس باسيليوس وقال:

✝ – هذا اللقاء يكون بمخافة الله، وإذا دَعَت إليه الحاجة، وللمساعدة كوصية الرب، ليس كما يريد الإنسان، بل كما يريده الله.

✝ – ويجب ألَّا يكون اللقاء في كل وقت، وفي كل مكان، حتى لا يكون هناك عثرة للغير.

✝ – وان يتمّ الاجتماع لضرورة (مادية أو روحيّة)، وبعد التأكّد من الحاجة إليه، وأن يكون مع كبار السِّن، الذين اشتهروا بالهدوء والعفاف، والحكمة في الكلام.

✝ – ولا يكون الرجال أقل من اثنين وكذلك النساء (تث١٩:١٥) لقطع كُلِّ شَكٍّ. وَلْيَكُنِ الشيوخ والعجائز هم الوسطاء للباقين، فيما يريد أن يقوله البعض لغَيرهم.

✝ – وان يخصص من يخدم الراهبات لقضاء طلباتهن، ويكونون متقدمين في السنّ (شيوخًا)، فقد قيل: «لماذا تُدان نيِّتي من آخرين»؟!.

العنكبوت والحوت – يوحنا الكارياثي

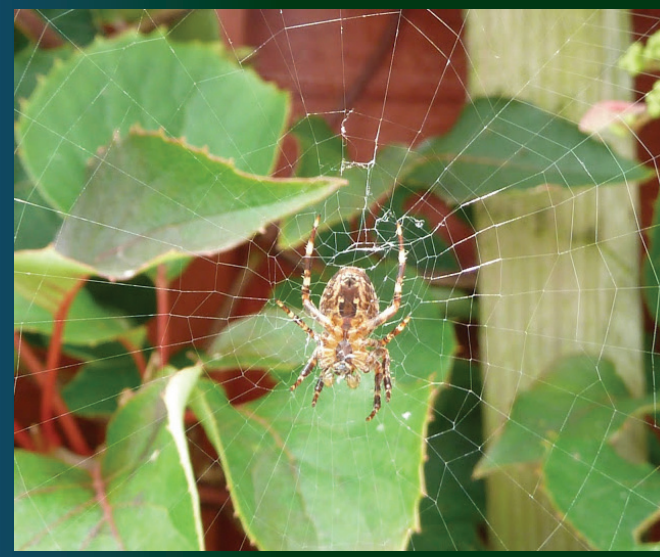

يجب ألَّا ننهك أنفسنا بالقلق على الاحتياجات الجسدية مهما كان السبب. لنثق في الله من أعماق نفوسنا. كما قال أحد الآباء: «إِئْتَمِنْ نفسك عند الله والكل سوف يُؤمَن لك».

يكتب **بطرس الرسول**: «وَكُونُوا جَمِيعًا خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ، وَتَسَرْبَلُوا بِالتَّوَاضُعِ، لأَنَّ:«اللهَ يُقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً». فَتَوَاضَعُوا تَحْتَ يَدِ اللهِ الْقَوِيَّةِ لِكَيْ يَرْفَعَكُمْ فِي حِينِهِ، مُلْقِينَ كُلَّ هَمِّكُمْ عَلَيْهِ، لأَنَّهُ هُوَ يَعْتَنِي بِكُمْ.» (١بط٥:٦-٧) . ولكن إذا ظللت غير متأكدٍّ أو شكاكٍ ما إذا الرب مهتم حقًا بأن يعولك، فكر في العنكبوت وقارنه بالكائن البشري.

لا شيء أكثر ضُعفًا وبلا قوة أكثر من العنكبوت. إنه لا يملك ممتلكات، ولا يقوم برحلات عبر البحار، ولا ينشغل برفع دعاوى قضائية، ولا يصيح غاضبًا، ولا يكدس مدخرات. حياته تتميز بالوداعة التامة، وكبح النفس، وهدوء تام. إنه لا يتدخل في شئون الآخرين، ولكن يهتم بشؤونه، بهدوء وسكون يتقدم في عمله. ويقول في الواقع لهؤلاء الذين يحبون البطالة: «أَنَّهُ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُرِيدُ أَنْ يَشْتَغِلَ فَلاَ يَأْكُلْ أَيْضًا». (٢ تس٣:١٠).

العنكبوت صامتٌ أكثر من **فيثاغورس**، الذي أُعْجِبَ به اليونانيون القدماء أكثر من أي فيلسوف آخر بسبب تَحَكُّمِهِ في لسانه. ومع أن **فيثاغورس** لم يكن يتكلم مع أي أحد، إلَّا أنه تكلم أحيانًا في السرِّ مع أصدقائه المقربين، وكثيرًا ما أسرف في ملاحظات تافهة عن **الثور والنسور**. لقد امتنع تمامًا عن الخمر، وشَرِبَ الماء فقط. إلَّا أن العنكبوت حقق أكثر من **فيثاغورس**: لم يتلفظ أبدًا بكلمة واحدة، وامتنع عن الماء كما أيضًا عن الخمر. عائشًا بهذا المظهر الهادئ، متضعًا وضعيفًا، لا يذهب أبدًا متجولًا على هواه، دائمًا مجتهدًا في عمله، لا يوجد شيء متواضع أكثر من العنكبوت.

غير أن الرب «الساكن في الأعالي يُعاين المتواضعين» (مز ١١٣)، يبسط عنايته حتى على العنكبوت، مُرسلًا له طعامه كل يوم، وجاعلًا الحشرات الضئيلة تسقط في شبكته.

ربما يعترض الشخص المُستعبد للطمع: إنني آكل كمية كبيرة، وحيث أن هذا يورطني في نفقات ثقيلة، فإنني أنشغل حتمًا بكل أنواع الأعمال الدنيوية.

مثل هذا الشخص يجب أن يفكر في الحيتان الضخمة التي ترعى في المحيط الأطلنطي.

الله يعطيها لتأكل بوفرةٍ فلا تموت جوعًا أبدًا، بالرغم من أنهم يلتهمون يوميًا أسماكًا تفوق تلك التي تستهلكها مدينة مزدحمة بالسكان.

«كُلُّهَا إِيَّاكَ تَتَرَجَّى لِتَرْزُقَهَا قُوتَهَا فِي حِينِهِ.» (مز ١٠٣ : ٢٧).

إنه الله الذي يمد بالطعام كُلًّا من هؤلاء الذين يأكلون كثيرًا وهؤلاء الذين يأكلون قليلًا. ويُرسِّخ هذا في الذهن، فإن أيًّا منكم له شهيةٌ مُتَّسِعةٌ يجب أن يضع في المستقبل إيمانه بالكامل في الله، مُحَرِّرًا فِكْرَهُ من كل تَشَتُّتَاتٍ وتَخَوُّفَاتٍ عالمية.

«لاَ تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا» (يو ٢٠:٢٧)

وَلَمْ أَجِدِ ٱلإِنْسَانَ إِلَّا ٱبْنَ سَعْيِهِ
فَمَنْ كَانَ أَسْعَى كَانَ بِٱلْمَجْدِ أَجْدَرَا
وَبِالْهِمَّةِ ٱلْعَلْيَـاءِ يَرْقَى إِلَى ٱلْعُلَا
فَمَنْ كَـانَ أَرْقَـى هِمَّـةً كَـانَ أَظْهَـرَا
وَلَـمْ يَتَـأَخَّرْ مَـنْ يُرِيـدُ تَـقَدُّمًا
وَلَـمْ يَتَقَـدَّمْ مَـنْ يُـرِيـدُ تَأَخُّـرَا

شعر: ابن هانيء الاندلسي

ليكن الثالوث الأقدس غير القابل للانقسام غير منفصل عنا.

«مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ هَيَّأْتَ تَسْبِيحًا» (مت ٢١: ١٦)

أيها **الأب برصنوفيوس**، إنك حقًا تلميذٌ صالح للطبيب الحقيقي، أنك أعطيتنا أدوية ومضادات للسموم، والمكواة الأولى قد نخست قلبي جدًا ولا يمكنني أن أحتمل الآلام. لأنك كتبت لنا أن نرتل قائلين: «أَمَّا أَنَا فَدُودَةٌ لاَ إِنْسَانٌ» (مز ٢٢: ٦).

وإنني حقًا أرتل وأسجد وأمجّد وأتهلل جدًا إلى أبد الدهور، ولكنني لا أجسر أن أقول: أنا دودة لا إنسان، لأنني إنسان مجروح من الدودة القابلة للفساد.

ولكن ما هي قدرة هذه الدودة غير القابلة للفساد؟

هذه الدودة (**أي الرب**) جاءت من أجلي لكي تخلصني من **الدودة الفاسدة**، التي تُفسد جنس البشر. وحيث أن تلك الدودة الفاسدة – **التي تُفسد وهي فاسدة** – تتوغل في الجروح وتعمل فيها للعفونة والنتانة، فقد جاءت الدودة غير الفاسدة التي قيل عنها: «أَنَا فَدُودَةٌ لاَ إِنْسَانٌ» (مز ٢٢: ٦). وكما تغوص هذه **الدودة الفاسدة** في الجروح، هكذا أيضًا تغوص الدودة غير الفاسدة «إِلَى أَقْسَامِ الأَرْضِ السُّفْلَى.» (أف ٤: ٩)، ومن هناك تبدأ في إماتة **كل نجاسة الدودة القديمة**. وبالتالي، بعد أن تطهرهم كلهم، تقودهم إلى فوق – بينما تبقى هي ذاتها غير فاسدة.

هذه هي الدودة التي طهّرت **أيوب الصديق** من **الدودة الفاسدة**، والتي قالت له أيضًا: «أُشْدُدِ الآنَ حَقْوَيْكَ كَرَجُل.» (أي ٣٨: ٣) هذه الدودة أيضًا «اصطادت لوياثان (أي الشيطان) بشصٍّ (أي بصنارة)» (أي ٣٨) وهي معلقة على خشبة الصليب. لهذه الدودة «إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أُخْضِعَ» عدا «الَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ، لأَنَّهُ أَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ.» (١ كو ١٥: ٢٧).

الدودة الفاسدة تُفسد كل شيء، ولا يوجد شيء على الأرض، لا أخشاب ولا أطعمة ولا تراب ولا لحم، لا تلتهمه عدا الملح والزيت. ولكن ما هو الملح والزيت سوى الآب الذي «أخضع كل شيء له»، والذي ملّح الخليقة برحمته، والذي أعطى أيضًا ملحًا للرُّسُلِ لكي يُملِّحوا العالم من رائحة الأصنام الشريرة، لكي يأتوا إلى الرائحة العطرية التي للإله الحقيقي؟ آمين.

وما هي قوة الخردل حتى إنه شبّه ملكوت السماء به (مت ١٣)، وليس بالزيتونة أو النخلة أو أي واحدة من الأشجار العظيمة، مُفضِّلًا بالأحرى تلك الشجرة الحقيرة؟

لقد أختارها لأن شجرة الخردل خشنة جدًا وتُقوّي قلوبنا.

نعم أيها الأب، اطلب من الرب أن يُظهر لنا هذا السرّ الذي للدودة والخردل، لكيما نمجّد الآب والابن مع الروح القدس إلى أبد الدهور آمين.

جواب القديس برصنوفيوس:

سبق أن قال داود النبي: «جروحي أنتنت وقاحت من جراء حماقتي» (مز ٣٨)

لماذا حدث هذا؟

«من جراء حماقتي»

إذا، فالحماقة هي مخزن كل الشرور،

لأن الحماقة وَلَّدَت عدم الطاعة،

وعدم الطاعة وَلَّدَت جُرْحًا،

وبعد الجرح أنتجت الحماقة إهمالًا،

والأهمال أدّى إلى تلوث،

والتلوث أدّى إلى نتانة وعفونة،

والجسد البائس أمتلأ بالدود،

وصار فاسدًا.

ولما فَسَدَ أُلْقِيَ في البحر،

وصار طعامًا للحوت،

وَوُضِعَ في أحشائه،

حتى جاء الدودة السماوية،

وسُمِّر على صنّارة الصليب،

وأُنزل إلى داخل أحشاء الحوت،

فأخرج من فمه الطعام الذي ابتلعه، مع أحشائه.

وأخذ اللحم ومسحه بزيت،

وغسله بماء، وطبخه بنار،

لأنه قيل «هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ» (مت ٣: ١١)

وأطعمه بخبز وفرّحه بخمر،

وتَبَلَّهُ بملح، وحرّره من الفساد؟

وأكثر من ذلك، أضاف إليه خردلًا مُقَلِّصًا كل الفساد،

ومُصَلِّبًا مِنخَارَي التنين حتى لا يجعله قادرًا حتى أن يشمّه،

وَمُشوِّشًا على عينيه حتى لا يستطيع أن يطّلع على كمال اتضاعه.

وإذ علمنا كل هذه الأمور، ليتنا لا نتجاهل نُصحه لئلا تتحقق فينا أيضًا الكلمة: «وَلَكِنْ إِنْ فَسَدَ الْمِلْحُ فَبِمَاذَا يُمَلَّحُ؟» (مت ٥: ١٣)؟ وماذا يشير نقصان الملح؟ لا شيء سوى: «قَالَ الْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: لَيْسَ إِلهٌ» (مز ١٤: ١).

إذن، فإن كنتَ لم تنس الأمور القديمة وتعلم الأمور الأخيرة، فاسمع الذي يقول: «وَأَمَّا ذلِكَ الْعَبْدُ الَّذِي يَعْلَمُ إِرَادَةَ سَيِّدِهِ وَلاَ يَسْتَعِدُّ وَلاَ يَفْعَلُ بِحَسَبِ إِرَادَتِهِ، فَيُضْرَبُ كَثِيرًا.» (لوقا ١٢: ٤٨) . فإذا قلنا إننا نعرف ونحن مهملون لا يكون بعيدًا عَنَّا الويل للذين يخطئون بمعرفة. ولكن إن كنا نعرف أننا تراب ورماد مثل **إبراهيم وأيوب** (تك ١٨، أي ٤٢)، فلن نُسلَب إلى الأبد، بل يكون عندنا دائمًا لنعطي آخرين أيضًا، ليس ذهبًا ولا فضة (أع ٣)، بل نموذجًا للاتضاع والصبر وحبّ الله. له المجد إلى الأبد آمين.

«فَصَارَ خَوْفٌ عَظِيمٌ عَلَى جَمِيعِ الْكَنِيسَةِ» (أع ٥: ١١)

بقلم القديس غريغوريوس النيسي

بالرغم من أن كل شيء صار على ما يرام للرجل العظيم (غريغوريوس صانع العجائب) بحسب قصده، بمعونة الروح القدس، من المناسب أيضًا أن نروي حادثة صغيرة حدثت على الطريق، إذ أن النعمة التي رافقت الرجل ظهرت جليّة في كل شيء.

لما صار واضحًا لدى الجميع أن الرجل (غريغوريوس) كان مهتمًا أكثر من أي شيء آخر بمساعدة المحتاجين، أنتظره يومًا **أثنان من اليهود** – إما بحثًا عن الربح أو حتى لكي يستهزئُوا بالرجل كفريسة سهلة للخداع – بجوار طريق عودته للمنزل. واحد منهم أظهر نفسه ميتًا، متمددًا على ظهره على جانب الطريق العام. والشخص الآخر ينوح بمرارة على صديقه الملقَى هناك، يتظاهر ببكاء النائحين، وينادي ويستعطف الرجل العظيم (غريغوريوس) عند مروره من جانبهم، قائلًا أن هذا الرجل الفقير الذي أدركه الموت بشكل فجائي مُلْقًى هكذا عريانًا وليس له من يُرَتِّبُ أمور دفنه. وطلب من «**الرجل العظيم**» ألَّا يغفل عن واجب التقوى في هذا الشأن، وأن يتعطف على احتياجه ويقدم من إمكانياته ما يكفل لتقديم الكرامة النهائية للجسد. توسل هكذا وبتعبيرات أخرى مشابهة، فتقدم **غريغوريوس** بدون أي تردُّد وألقى بعباءته المزدوجة التي كان يرتديها على الشخص المُضْطَجِعِ هناك، ثم أكمل طريقه.

وبعد أن عبر عليهم، عندما صار الذين ٱحتالوا عليه بمفردهم، استبدل **الرجل النصَّاب** حزنه الظاهر بالضحك، وقال للشخص الملقَى على الأرض أن ينهض، مقرقعًا صوته بكل سرور على المكسب الذي حصلوا عليه بعملية الاحتيال. لكن الشخص الآخر مكث على حاله ساكنًا، غير سامع لأي شيء مما قيل. عندما صرخ الأول صرخة عالية وركله بقدمه، لم يسمع الشخص الراقد على الأرض الصوت ولم يشعر بالركلة، بل بقي ممدَّدًا على حاله. إذ أنه صار ميتًا من اللحظة التي سقط فيها الثوب عليه، صائرًا ميتًا بحق ذاك الذي تظاهر بالموت لكي يخدع الرجل العظيم (غريغوريوس). هكذا لم يكن رجل الله مخطئًا، بل صار ثوبه مُفيدًا للشخص الذي أخذه، للغرض ذاته الذي تم التبرع به بواسطة القديس.

ولكن اذا كان مثل هذا العمل الذي تم بواسطة الرجل العظيم (غريغوريوس) يبدو للبعض مُنَفِّرًا بعض الشيء، ليت لا ينفر أحد عندما يتطلع إلى ما فعله **بطرس العظيم**. هو أيضًا أظهر القوَّة التي كانت فيه ليس فقط من خلال الأعمال العظيمة التي عملها، عندما قدَّم للناس الشخص الأعرج من بطن أمه وهو يمشي ويطفر فرحًا (أع ٣)، وعندما كان يشفي بظل جسده أسقام المرضى، الظل الذي كانت الشمس تعكسه على طول الطريق بضربها لجسد الرسول بزاوية (أع ٥)، لكننا نراه أيضًا يحكم على **حنانيا بالموت** لكونه تصرف باحتقار حيال القوَّة الرسولية الساكنة فيه (أع ٥). أتصور أن هذه الحادثة تمت لكي بواسطة الخوف الذي تسبَّبت فيه يتم تقويم أي وقاحة، أو عجرفة في الشعب من خلال المثال الرهيب، فينتصحون فلا يقع لهم مثل هذا الأمر أيضًا.

هكذا كان من المناسب لمحاكي بطرس (غريغوريوس) الذي أظهر عظمة قوَّته من خلال عجائب مُحسنة كثيرة، أن يجعل ذاك الذي حاول أن يستخدم الخداع ضد الروح بأن يتفوَّه بالصدّق ضد نفسه. في رأيي، كان من الضروري أن قاهر البطل والكذب (غريغوريوس) أن يُحوّل حتى الكذب في المخادع إلى حقيقة، بذلك ظهر للجميع: أن كل شيء قاله الرجل العظيم (غريغوريوس) كان صادقًا، وأن كل شيء أخذه القديس كأمر صادق صار هكذا ولم يكن كذبًا.

وهكذا صار الشخصان بسخريتهم من قوَّة **الرجل العظيم (غريغوري)** – بالطريقة التي تم ذكرها – درسًا وعبرة للآخرين حتى لا يخاطر أحد بخداع أو غش، لأن الله هو الذي يحكم على مثل هذه الأفعال الطائشة.

تواضَعْ عن رفعة ،
وَازْهَدْ عن حكمة ،
وَأَنْصِفْ عن قوة ،
وَٱعْفُ عن قدرة .

كنيسة القبر المقدس الأورشليميّة الوحيدة والفريدة في العالم أجمع. إنّها نبراس الأرثوذكسيّة

الكنيسة الروميّة الأرثوذكسية المحافظة حتى يومنا هذا على وديعة الأيمان القويم الذي وضعه الرب يسوع المسيح وأتمّه الرسل الأطهار، وآباء المسكونة العظام، والمجامع المسكونية السبعة.

هل يجب أن تتغيّر المسيحيّة مع الزمن؟

رسالة من القدّيس ثوفانيس الحبيس

إلى شخص يعترض على قوانين الكنيسة*

وصل إلى مسامعي أنّك تعتبر عظاتي صارمة للغاية، وتعتقد أنّ اليوم، أي في هذا العصر، ينبغي ألّا يفكّر أحد على هذا المنوال، ولا أن يعيش على هذا النحو، ولا أن يدرس بهذه الطريقة، مؤكّدًا بأنّ "الزمن قد تغيّر".

لقد سُرِرْتُ لسماعي هذا، لأنّه يعني أنّك تصغي بتمعّن إلى ما أقول، وليس فقط تستمع، ولكنّك على استعداد، أيضًا، لتتقيّد بكلامي، وإزاء هذا الأمر **ماذا نتمنّى أكثر من ذلك** نحن الذين أُمرنا بأن نعظ؟!

على الرغم من كلّ هذا، لا يمكنني، بأيّ حال من الأحوال، أن أوافقك الرأي، بل أرى من واجبي أن أُصَحِّحَ لك رأيك، مع إنّه قد يتعارض ورغبتك وقناعتك، فأقول: أن تغيّر المسيحيّة في بعض عقائدها وشرائعها المقدّسة لتأتي موافقة لروح العصر، وأن تكيّف نفسها لتتطابق مع أذواق أبناء هذا الدهر الدائمة التغيير والتبدّل، تكون كما لو أضافت أو حذفت كلّ ما يأتي من الشرّير أو ما يوحي به.

المسيحيّة ليست هكذا. المسيحيّة ثابتة إلى الأبد، ولا تعتمد أو تسترشد من روح أيّ عصر بأيّ حال من الأحوال. المسيحيّة تهدف إلى توجيه روح العصر إلى طاعة تعاليمها. ولإقناعك بهذا، سوف أطرح بعض الأفكار عساك تأخذها بعين الاعتبار:

يقول البعض إنّ تعاليمي صارمة. يجب أن تعلم أوّلًا، أنّ هذه التعاليم ليست تعاليمي، ولا ينبغي أن تكون، إذ لا يستطيع أحد من هذا المنصب المقدّس أن يعظ بتعاليمه. وإذا تجرّأت أنا، أو أيّ شخص آخر على القيام بهذا، يمكنك عندئذ، أن تُخرجنا خارج الكنيسة.

نحن نكرز بتعاليم **ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح، تعاليم الرسل الأطهار، تعاليم الكنيسة المقدّسة، التي يقودها الروح القدس.** وفي الوقت ذاته، نحن على ثقة تامّة، بأن الكنيسة تقوم بكلّ ما هو ممكن للحفاظ على هذه التعاليم كاملة غير منتهكة، حتّى تتغلغل في

عقولكم وقلوبكم. ولذلك، فنحن نقدّم كلّ فكرة بدقّة متناهية، ونستعمل كلّ كلمة بحذرٍ شديدٍ، حتّى لا تسود أفكارنا الشخصيّة على هذا التعليم الإلهيّ الرائع بأيّ شكل من الأشكال، ولا يمكن لأحد التصرّف بخلاف ذلك.

يُطلب من كلّ واعظ في الكنيسة أن يكون "مُرْسَلًا من الله"، **فالنبيّ موسى**، بعدما تسلّم الوصايا من الله نفسه، ودفعها إلى شعب إسرائيل، ختم كلامه قائلًا: «لاَ تَزِيدُوا عَلَى الْكَلاَمِ الَّذِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهِ وَلاَ تُنَقِّصُوا مِنْهُ، لِتَحْفَظُوا وَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكُمُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا.» (تث ٤:٢).

إنّ هذه الوصيّة ثابتة غير قابلة للتغيير لدرجة أنّ الربّ والمخلّص نفسه قال عندما كان يعلّم الشعب على الجبل: «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ.» (متّى٥: ١٧-١٨). كما أعطى الصفات عينها لتعاليمه عندما أضاف: «فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ.» (متّى٥:١٩). وهذا يعني أنّ أيّ شخص يفسّر وصايا الله بشكل خاطئ، أو يقلّل من صحّتها، يكون منبوذًا في الحياة الأخرى. وهذا ما أكّده **القدّيس يوحنّا اللاّهوتيّ** حين كتب في سفر الرؤيا: «لأَنِّي أَشْهَدُ لِكُلِّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالَ نُبُوَّةِ هذَا الْكِتَابِ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَزِيدُ عَلَى هذَا، يَزِيدُ اللهُ عَلَيْهِ الضَّرَبَاتِ الْمَكْتُوبَةَ فِي هذَا الْكِتَابِ، وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْذِفُ مِنْ أَقْوَالِ كِتَابِ هذِهِ النُّبُوَّةِ، يَحْذِفُ اللهُ نَصِيبَهُ مِنْ سِفْرِ الْحَيَاةِ، وَمِنَ الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَمِنَ الْمَكْتُوبِ فِي هذَا الْكِتَابِ.» (رؤ ٢٢: ١٨-١٩).

أوصى المسيح من بدء ظهوره في العالم، وحتّى المجيء الثاني، الرسلَ الأطهار وخلفاءهم أن: «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ...» (متّى٢٨: ١٩-٢٠). وكأنّه يريد أن يقول: «**أنتَ تُعَلِّم ليس ما يمكن أن تتصوّره، بل ما أَمَرْتُ أنا به، وذلك ثابت إلى نهاية العالم**» ، ثمّ يضيف: «وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (متّى ٢٨:٢٠).

تَلَقّى الرُّسل هذه الوصيّة، وضحّوا بأرواحهم من أجل الحفاظ عليها، وعندما أراد البعض منعهم عن الوعظ، راحوا يعظون تحت تهديد العقاب والموت، قائلين: «إِنْ كَانَ حَقًّا أَمَامَ اللهِ أَنْ نَسْمَعَ لَكُمْ أَكْثَرَ مِنَ اللهِ، فَاحْكُمُوا. لأَنَّنَا نَحْنُ لاَ يُمْكِنُنَا أَنْ لاَ نَتَكَلَّمَ بِمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْنَا» (أع ٤: ١٩-٢٠).

ولقد تمّ تسليم هذه الوصيّة الواضحة من الرسل إلى خلفائهم، وقد كان لها أيّما تأثير في كنيسة الله، حتّى إنّها أضحت ركيزة الكنيسة وأساس الحقّ. فهل، بعد ذلك، من يملك الجرأة للإخلال في شيء من تعاليم العقيدة المسيحيّة أو قوانينها؟

جاء بعد هذا **لوثر**، وكان رَجُلًا ذكيًّا عنيدًا، وقال: «**لقد غيّر البابا كلّ شيء، ووفق مراده، فلماذا لا أفعل أنا الشيء نفسه؟**». وهكذا بدأ بتعديل كلّ ما أراد وفق طريقته الخاصّة، وبهذه الطريقة أنشأ **الإيمان اللوثريّ الجديد**، التي يشبه **قليلًا** ما أمر به الربّ، وما سلّمنا إيّاه الرسل.

وبعد **لوثر** أتى الفلاسفة الذين قالوا بدورهم: «**بما أنّ لوثر أنشأ لنفسه إيمانًا جديدًا، مدّعيًا أنّه يقوم على أساس الإنجيل، مع أنّه في الواقع، يعتمد على منهجه الخاصّ في التفكير، فلماذا إذًا، لا نؤلّف، نحن أيضًا، عقائد بحسب طريقتنا الخاصّة بالتفكير ونتجاهل الإنجيل كلّيًّا؟**». وبدأوا، بالفعل، يفسّرونَ منطقيًّا كلّ ما لله والعالم والإنسان، كلّ فيلسوف على طريقته الخاصّة به. فأتت العقائد خليطًا ومزيجًا يَشْعُرُ المرء بدوار عند قراءتها.

وقام، الآن، المجتمع الغربيّ ليقول: «**آمن بالذي تعتقد هو الأفضل. عش كما تحبّ وتريد. اخضع لكلّ ما يأسر روحك ويجذبه**». وهكذا بات الناس لا يعترفون بأيّ قانون أو قيود، ولا يلتزمون بكلمة الله وإنجيله. طريقهم واسع، فجميع العقبات أزيحت من دربهم، ولكنّ الطريق الواسع الرحب السهل يؤدّي إلى الهلاك وفقًا لما يعلّمه الربّ. هذا ما أدّى إليه التساهل في التعليم!!

يا ربّ، نَجِّنَا من هذا الطريق الواسع، فمن الأفضل أن نحبّ كلّ صعوبة يسمح بها الربّ لخلاصنا من أن نؤثِرَ السير في الطريق السهل. **لِنَتَمَسَّكَنَّ** بعقيدتنا المسيحيّة، وَلِنُرْغِمْ أذهاننا على فهمها والغَوْصَ فيها غير مُؤْثِرين غيرها. لنحبّنّ طقوس كنيستنا وخِدَمها التي ترشدنا وتصحّح مسيرتنا وتقدّسنا. ولنتعمقَنَّ فيها، لأنّها تحوّل رغباتنا الدنيويّة الفانية إلى أخرى سماويّة خالدة. دعونا نحبّ الأخلاق المسيحيّة ولنجبر إرادتنا على تبنّيها، والتصرّف بموجبها، حاملين نِيْرَ المسيح الخفيف بكلّ تواضع وصبر.

دعونا نسجن أنفسنا كما لو كنّا في قفص، أو بالأحرى دعونا نجرّ أنفسنا كما لو كُنّا نَعْبُرُ ممرًّا ضيّقًا بحيث لا يمكن لأحد التلفّت إلى اليسار أو إلى اليمين، فإنّه لاشكّ، في المقابل، سوف نحصل على ملكوت السماوات. هذه هي مملكة الربّ، وهذا هو الطريق الضيّق الضاغط الذي قال عنه الربّ: «مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ، وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ!» (مت ٧: ١٤).

أفهمت، الآن، لماذا الإصرار على الحقّ؟! فلا تقلق، إذًا، إذا كان تعليمنا يبدو صارمًا. الأمر الوحيد الذي يجب أن تتأكّد منه هو **أنّه آتٍ من قِبَلِ الربّ**. وبعد أن تتأكّد، إقْبَلْهُ من كلّ قلبك، مهما كان صارمًا أو متشدّدًا. لا تتجنّب المعاملة الخاصّة والتساهل مع العقيدة والأخلاق، فقط، وإنّما اهْرُبْ من هذا **كَهَرَبِكَ من نار جهنّم**. أمّا من يؤكّد لنا بأنّ ما يعتقد بخلاف ما نعلّم به هو صحيح، ويجذب معه الضعفاء روحيًّا **ليتبعوه إلى... جهنّم**، فليفعل. آمين.

* **مقالة مترجمة عن الإنكليزية عن موقع**
Http: // www.impantokratoros. gr

القديس يوحنا كرونشتادت وتربية الأولاد

المتقدم في الكهنة ألكسندر زالانانكو

نفس الولد هي جمال إلهي

اعتبر **القديس يوحنا كرونشتادت** أن محبة الأولاد أساس عمل المعلّمين، وهذا ما تهمله غالبية تقنيات العلوم والنشاطات التربوية الحديثة. كان يقول لتلاميذ الثانوية حيث كان يُعَلِّم: «أنتم أبنائي، لأنني ولدتكم ولا أزال ألدُكم إلى بشرى يسوع المسيح الحسنة. إن دمي الروحي، أي تعليمي، يجري في عروقكم. أنتم أبنائي، لأني أحفظكم دائمًا في قلبي وأنا أصلي من أجلكم. أنتم أبنائي، لأنكم نَسْلي الروحي. أنتم أبنائي، إذ بحق، ككاهن أنا أب وأنتم تدعونني "باتيوشكا"» ﴿«الأب الصغير»، وهو اسم مناداة رقيق لكاهن﴾.

عاش في الاب يوحنا كرونشتادت نوع من المحبة الملائكية للأطفال، وهذا ألهمه ونشّط عمليته التعليمية برمتها. كانت هذه المحبة هدية خاصة من نعمة الله، وقد اشتعلت في داخله بقوة بحيث أنه في السنوات اللاحقة، عندما توقّف عن التعليم، غالبًا ما كان يشفي الأطفال المرضى بقوة المحبة والصلاة، مُبارِكًا إيَّاهم دائمًا وموجّهًا إيَّاهم في الإيمان. لطالما كان يبكي على الأطفال المرضى، وخاصة إذا كانوا مرضى روحيًا! فمرّة يداعب رأس طفل مهتزّ عاطفيًا، ومرة أخرى يقبّل فتاة واقعة تحت مرض خطير في المستشفى، راكعًا أمام سريرها: «يا عزيزتي، أتتألمين؟ صغيرتي المتألّمة!» كان الاب يوحنا كرونشتادت يرثي لهم.

صرامة الأب يوحنا

ومع ذلك، الاب يوحنا كرونشتادت قد يكون مفاجئًا. في يوم من الأيام، قام صبيٌّ يبلغ من العمر ستة عشر عامًا، وقد كان **كسولًا للغاية وفاسد الأخلاق**، وعبّر عن **عدم إيمانه بألوهية الروح القدس** أمام الصف بأكمله. ومع أن الاب يوحنا كرونشتادت وصفه بأنه **كافر وبغيض**، إلّا إنه أجاب على سؤاله. في وقت لاحق استدعاه وأجرى معه محادثة على انفراد، من بعدها أحسّ الصبي بالتجدد والقوة بالروح.

يتذكر البعض أنّ سيِّدة نبيلة اشتكت إلى الاب يوحنا كرونشتادت عن تدهور مستوى تربية أطفالها الدينية والأخلاقية. فقد قالت إن «معلميهم يدرِّسُونهم كل ما يحتاجونه لاجتياز الامتحانات ويكونون أذكياء».

صحّح لها الأب يوحنا قائلًا: «يجب أن تقولي إنهم يقصفونهم وليس يدرسّونهم». «عندما يُقصَفون بالمعرفة الروحية، يتملّكهم نفس الشعور الذي يتملّكهم عندما يتعلمون الحساب وما شابه. ولكن ماذا عنك؟ هل تهتمّين بنفوسهم؟ هل وجهتِهم حتى يسعوا إلى استحسان الله كما يسعون إلى استحسان البشر؟»، أقترح عليهم ذلك قدر استطاعتي، أجابته السيدة. «في نهاية الأمر، لا يمكن للمرء أن يجد الباب إلى قلب طفله». «أنتِ لم تجدي الباب إلى القلب، لذلك سوف تحصلين على وحوش بدلًا من البشر»، أجاب الأب يوحنا. «لقد نسيت أن الرب قد أظهر البشرية مثلًا في أنواع الطيور. يضع الطائر أولًا بيضة، وطالما هذه البيضة محفوظة إلى الوقت المناسب، فهي تبقى كائنًا جامدًا. هذا الأمر نفسه ينطبق على الناس. الطفل المولود هو البيضة مع بدايات الحياة الدنيوية، ولكنه فاقد الحيوية من جهة نموه في المسيح. إن الطفل الذي لم يدفئه والداه وعائلته حتى جذور روحه، حتى جذور كل مشاعره، سيظل ميتًا بالروح عن الله والأعمال الصالحة. وبالتحديد من هؤلاء الأطفال الذين لم يدفأوا من المحبة والرعاية الروحية تأتي هذه الأجيال إلى العالم، ومنها سوف يجنّد أمير هذا العالم جيوشه ضد الله وكنيسته المقدسة».

عظمة الثقة والمسؤولية في تعليم أطفال الله

يحذّر الاب يوحنا كرونشتادت من أن الله والآباء قد أوكلوا أطفالهم

إلى المعلم، وهذا يتطلب مسؤولية وعلاقة دقيقة معهم. وكثيرًا ما لاحظ أن كل شيء جميل، شخصي، وفريد من نوعه قد تمّ وضعه بالفعل في قلب الطفل كما في بذرة. من جهة أخرى، يوفر الله كل ما يلزم لنموهم وتنميتهم. ولكن من أجل عملنا الذي هو التربية وهو عمل متواضع لكنه صعب مُضْنٍ، فيجب أن نقتني محبة الأطفال والاهتمام بهم.

ولكن المكافأة على هذا العمل الذي يُنجز وفقًا لما يمليه الضمير كبيرة على قدر المسؤولية التي فيه، إذ قد عهد الله به إلينا لأن الأطفال هم ميراثه. فيهم ليس مستقبلنا وحسب، بل أيضًا حاضرنا، وبشكل خاصّ المستقبل الأبدي. يذكّر الاب يوحنا كرونشتادت المعلمين: «اُنْظُرُوا، لاَ تَحْتَقِرُوا أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ» (مت ١٨: ١٠) «عندما لا تستلطفونهم لسبب ما. إنكم تستهجنون ملاك الله المُكلّف بالسهر عليه. أنتم تستهينون بطفل الله، وقبل الكلّ انتم تزدرون الرب نفسه أبا جميع الأطفال». وهكذا، فإن كل من يخالف أصغر هذه الوصايا بسبب الإهمال، معتبرًا إيّاها بلا شأن، وَيُعَلِّمُ الآخرين أن يسلكوا على المنوال نفسه، فسوف يُدعى الأصغر في ملكوت السماء (بحسب تفسير القديس يوحنا الذهبي الفم «إن مخالف الناموس سيكون الأصغر، أي الأخير، المطرود من ملكوت السماء وغير المستحق له»)، ومن يحفظ ويعلم الوصايا فسوف يُدعى كبيرًا في ملكوت السماء (راجع متى ٥: ١٩).

وصايا القديس يوحنا للمعلمين

ماذا يوصي الاب يوحنا كرونشتادت معلمي الأطفال من أجل التمييز والانتباه من الخطيئة؟ ماذا يوصي الأطفال أنفسهم حتى يعرفوا عن الخطر ونتائج الخطيئة؟ كان يقول «حَذِّروا الأولاد من الخطيئة ونتائجها!» وكان يُعَلِّم: «لا تتركوا الأولاد من دون ملاحظة في ما يتعلّق باقتلاع من قلوبهم هشيم الخطيئة والفساد والشر وأفكار التجديف، وأهواء الخطيئة، والميول والعادات التي تتكوّن منها حياتنا ايضًا». إن عدو الخلاص والجسد الخاطئ لا يوفّران الأولاد أيضًا ، فعندهم كل بذور الخطايا. أَظْهِروا للأولاد صورة عن الخطر كله ونتائج خطاياهم المؤلمة، حتّى لا يكون جهلهم وعدم معقوليتهم سببًا لتنشئتهم على يد كبارهم على طريق الحياة بالأهواء والعادات الخاطئة التي تتضاعف مع التقدّم بالعمر.

إن التنشئة المسيحية هي خط الدفاع الأول في الصراع من أجل خلاص نفس الولد. الاب يوحنا كرونشتادت الذي قد عانى من صعوبة التعلّم حين كان طفلًا، كان بحسب ذكريات معاصريه مربيًا مميّزًا. لم يلجأ يومًا إلى طرق التعليم التي كانت منتشرة في المدارس: لا للصرامة المفرطة ولا للإذلال المعنوي لبطيئي التعلّم. علاقته الدافئة الحنونة مع التلاميذ كانت معروفة، وكانت نفسها تنطبق على عمل التعليم. لم يكن عنده متعلّمون بطيئون. الكلّ، من دون استثناء، كانوا يغرقون بشراهة في كل كلمة. لم يكونوا يصبرون إلى أن يبدأ الصف، فدروسه كانت بالغالب متعة للتلاميذ أكثر منها حملًا وواجبًا، لقد كانت محادثة حيّة وحديثًا جذّابًا وقصصًا مثيرة وآسرة للانتباه.

كان هناك حالات يدافع فيها الاب يوحنا كرونشتادت عن تلميذ كسول صدرت بحقه «**إدانة**» بالطرد، وكان يتحمّل مسؤولية إصلاح الولد. وما أن تمرّ سنوات قليلة حتّى يستقيم الولد شخصًا محترمًا وهو الذي كان حالة ميئوسًا منها.

قبل كل شيء، على المسيحيين أن يحرصوا على أن يُنَمُّوا الأولاد **ثابتين في الإيمان المسيحي، أبناء حقيقيين لله، أعضاء أحياء للكنيسة، لكي يَتَصَوَّرَ المسيح في قلوبهم** (أنظر غلاطية ٤: ١٩)، فيحبّوا الله ويفضّلوه على كل شيء في الحياة الأرضية، ومن ثمّ قريبهم كنفسهم (متى٢٢: ٣٧-٤٠). وكما يقول **القديس سارافيم ساروفسكي** يكون هدف حياتهم «اكتساب الروح القدس» من أجل خلاص نفوسهم.

تداوس: أحد الأثني عشر رسولًا (مت ١٠ : ٣، ومرقس ٣ : ١٨)، ويذكر في إنجيل متى بأنه « لبَّأُوس الملقب تداوس » (مت ١٠ : ٣)، ولكنه لا يذكر في إنجيل لوقا (٦ : ١٤ - ١٦) ولا في سفر أعمال الرسل (١ : ١٣)، ويذكر عوضًا عنه «يهوذا أخو يعقوب». ويبدو أن لوقا (في إنجيله وفي سفر الأعمال) يذكره باسمه الحقيقي وليس بلقبه. «وتداوس» قد تعني في الأرامية «حلمة الثدي»، أما «لبَّاؤُس» فمعناه «اللبّ أي القلب» ولعلهما كانا لقبين ليهوذا تمييزا له عن يهوذا الاسخريوطي وما ارتبط باسم الأخير من خيانة. والأرجح أن «يهوذا ليس الاسخريوطي» (يو١٤: ٢٢) هو نفسه هذا التلميذ. وتذكر أسطورة «أبجر ملك الرها(إدِسَّا) انه بعد قيامة المسيح، أرسل توما الرسول تداوس أحد السبعين إلى أبجر». ويعتقد جيروم أن «تداوس» الذي تتحدث عنه الأسطورة هو يهوذا «لبَّاؤُس الملقب تداوس».

بولس قلب المسكونة المُتَّسِع

للقديس يوحنا الذهبي الفم

من يُصلي من أجلنا بعدما رقد **القديس بولس الرسول**؟ أولئك الذين يَحْذُونَ حَذْوَهُ. فقط لنهيئ أنفسنا لنكون مستحقين لمثل هذه الشفاعة، لكي لا نسمع فقط صوت **بولس** هنا، بل وحين نرحل للحياة الأخرى نكون مستحقين لرؤية مصارع المسيح. أو بالأحرى، إن كنا نسمعه هنا فسنراه بلا شك هناك، حتى وإن كنا لا نقف بالقرب منه، لكننا سنراه على كل حال وهو يتلألأ بجوار عرش الملك، حيث الشاروبيم يمجدون والسيرافيم يطيرون، هناك سنرى **بولس**، مع **بطرس**، كرئيس وقائد جوقة القديسين، وسنتمتَّع بمحبته الكريمة. لأنه إن كان وهو في هذه الحياة الحاضرة قد أحب الناس بهذا القدر الكبير، حتى أنه عندما كان أمامه اختيار الانطلاق والوجود مع المسيح، اختار البقاء هنا في هذه الحياة لِيُتَمِّم رسالته، مُبالِغٌ في إظهار محبته هناك وبدفءٍ كثير.

ولأجل هذا فأنا أحب **روما**، على الرغم من أنني استطيع أن أمتدحها لأسباب أخرى، مثل **عظمتها، وآثارها، وجمالها، وكثافة سكانها، وسلطانها، وثرائها، وانتصاراتها في الحروب**. لكنني أترك كل هذه الأمور، وأعتبرها مباركة لهذا الأمر فقط، لأن **بولس** كتب لأهلها وأحبهم بشكل فائق، وتكلَّم معهم عندما كان يقيم بينهم، بل وأنهى حياته أيضًا فيها. لهذا السبب **مدينة روما** ذات مكانة بارزة أكثر من كل الأسباب الأخرى. وكبنيان عظيم وقوي لها كعينين مشرقتين أجساد **القديسَيْنِ بطرس وبولس**. إن إشراقة السماء عندما تُرسل الشمس أشعتها ليست بقدر إشراقة **مدينة روما** التي تُرسل هذين المِشْعَلَيْنِ إلى كل نواحي المسكونة. من هناك سيُختطف **بولس وبطرس** إلى السماء، فكروا وأرتعدوا، أي مشهد سترى **روما**، سترى **بولس** وهو يقوم مع **بطرس** فجأة من ذلك القبر، ويُخْطَفَانِ لملاقاة المسيح (١ تس ٤). أي زهرة سترسل **روما** إلى المسيح؟! بأي تاجٍ مزدوج ستُكَلَّل **روما**؟! بأي سلاسل ذهبية ستتقَلَّد **روما**؟! أي منابع ستمتلك **روما**؟! لهذا أنا مُعجب بالمدينة، وليس بسبب ذهبها الوفير، ليس بسبب الأعمدة، أو بأي أمر آخر يتعلق بمظهرها، بل لأجل **عامودي الكنيسة: بطرس وبولس**.

ليتني أستطيع أن ألقي بنفسي الآن عند جسد **بولس**، وأتشبث بالقبر، وأرى رماد جسد ذاك الذي «أَكَمِّلُ نَقَائِصَ شَدَائِدِ الْمَسِيحِ فِي جَسَدِهِ» (كو١)، ويحمل سماته في جسده (غلا٦)، الذي نشر البشارة في كل مكان. رماد ذلك الجسد الذي ركض به في كل مكان، رماد هذا الجسد الذي تكلَّم من خلاله المسيح، وأبرق النور من خلاله بشكل أبهى من أي برق، وتحدَّث بواسطته في مواجهة الشياطين بصوت أقوى وأَرْعب من أي رعد، الذي به قال ذلك الكلام الطوباوي: «كُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُومًا مِنَ الْمَسِيحِ لأَجْلِ إِخْوَتِي» (رو٩:٣)، وقد تحدَّث به «قُدَّامَ مُلُوكٍ وَلَمْ يُخْزَى» (مز ١١٨:٤٦)، الذي به عرفنا من هو **بولس** ومن هو **رب بولس**!

إن الرعد لا يخيفنا بالقدر الذي تخاف به **الشياطين** من صوت **بولس**. لأنه إن كانوا قد ٱرتعبوا من ملابسه (أع ١٩)، فسيرتعبون جدًّا من صوته. هذا الصوت ساقهم مُقَيَّدِينَ، هذا الصوت طهَّر العالم، هذا الصوت شفى الأمراض، أبعد الشر، ورفع الحق عاليًا، إذ أن المسيح كان يركب فوقه، وإلى كل مكان ذهب معه. كان صوت **بولس** بمثابة الشاروبيم، لأنه كما أن المسيح يجلس فوق هذه القوات، هكذا كان يجلس المسيح فوق لسان **بولس**. خاصة وقد صارت كلمات **بولس** مستحقة لاستقبال المسيح، بكونه ينطق فقط بالكلمات المقبولة من المسيح، ويطير إلى ارتفاع لا يمكن وصفه، تمامًا مثل السيرافيم. فهل يوجد ما هو أعلى من ذلك الصوت الذي قال «فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتِ وَلا أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً. وَلاَ عُلُوَ وَلاَ عُمْقَ وَلاَ خَلِيقَةَ أُخْرَى تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا» (رو٨: ٣٥-٣٩). كم من الأجنحة يحمل هذا الصوت كما يبدو لك؟ كم من الأعين يمتلك هذا الصوت؟!

الصوت الذي قال: «لأَنَّنَا لاَ نَجْهَلُ أَفْكَارَهُ» (٢ كو٢:١١)، من أجل هذا هربت الشياطين ليس فقط حين كانوا يسمعونه يتكلم، بل حينما رأوا رداءه أيضًا.

أود رؤية رماد الفم الذي بواسطته تكلم المسيح بالعظائم والأسرار بل وأعظم مما تحدَّث بها عن نفسه، لأنه كما صنع أعمالًا عظيمة، تكلم أيضًا بعظائم من خلال تلاميذه، الذي بواسطتهم أعطى الروح القُدُس هذه الكتابات العجيبة الموحى بها للعالم!

لأنه أي صلاح لم يتكلم به ذلك الفم، **طَرَدَ الشياطين، حلَّ**

الخطايا، سد أفواه الطُّغَاة، أَلْجَمَ ألسنة الفلاسفة، قاد المسكونة إلى الله، أقنع برابرة بالإيمان، غيَّر كل أمور الأرض، بل وأمور السماء أدارها كما أراد، ربط وحلّ كل من أراد بحسب السلطان الذي أعطاه إياه الرب (٢ كو ١٣).

ليس فقط رماد فمه أَوَدُّ أن أراه، بل أيضًا رماد قلبه، الذي لا يُخطئ المرء إذا دعاه «قلب المسكونة»، وينبوع بركات لا تُحصى، وبداية وعنصر حياتنا، لأن من هناك روح الحياة مُنح للجميع، وَوُزِّع على أعضاء المسيح، وَأُرْسِلَ ليس عبر شرايين، لكن بواسطة اختيارٍ حُرٍّ للأعمال الصالحة. هذا القلب كان متسعًا بهذا القدر الكبير حتى أنه احتوى مُدُنًا كاملة، وشعوبًا وأممًا. يقول بولس: «قلبنا متسع» (٢ كو ٦)، لكن هذا القلب المتسع بهذا القدر حصرته وقمعته المحبة ذاتها التي جعلته متسعًا، إذ أنه يقول: «لأَنِّي مِنْ حُزْنٍ كَثِيرٍ وَكَآبَةِ قَلْبٍ كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ» (٢ كو ٢). كم أَوَدُّ أن أرى هذا القلب حتى ولو بعد انحلاله، القلب الذي كان يحترق عندما يعثر أحد، القلب الذي وَلَدَ كل الأولاد الذي تَمَخَّضَ بهم (غلا ٤)، القلب الذي عاين الله لأن كل من له قلب نقي يُعَايِنُ الله (مت ٥)، القلب الذي صار ذبيحة إذ أن: «ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ» (مز ٥٠: ١٧)، القلب الذي كان أعلى من السموات، القلب الذي كان أوسع من المسكونة. الأكثر إشراقًا من أشعة الشمس، والأكثر وهجًا من النار، والأقوى من الماس.

القلب الذي تفجرت من داخله الأنهار، لأن الكتاب يقول: «تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ» (يو ٧)، حيث كان النبع الذي تفجَّر وروى ليس فقط سطح الأرض بل نفوس البشر، من هنا خرجت ليس فقط أنهار بل وينابيع دموع ليلًا ونهارًا. القلب الذي عاش الحياة الجديدة، ليست تلك الحياة التي نحياها، لأنه يقول: «فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ.» (غل ٢).

إذا فقلب **بولس** كان قلب المسيح وكان إناءً للروح القدس، وكتابًا للنعمة. أنه القلب الذي كان ينزعج من الشرور والخطايا، فيقول: « أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَكُونَ قَدْ تَعِبْتُ فِيكُمْ عَبَثًا!» (غل ٤: ١١). «وَكَمَا خَدَعَتِ الْحَيَّةُ حَوَّاءَ بِمَكْرِهَا»، «لأَنِّي أَخَافُ إِذَا جِئْتُ أَنْ لاَ أَجِدَكُمْ كَمَا أُرِيدُ» (٢ كو ١٢)، القلب الذي كان يخاف على ذاته أيضًا، إذ يقول: «حَتَّى بَعْدَ مَا كَرَزْتُ لِلآخَرِينَ لاَ أَصِيرُ أَنَا نَفْسِي مَرْفُوضًا» (١ كو ٩: ٢٧).

القلب الذي استحق أن يحب المسيح كما لم يحبه أحد قط، القلب الذي استهان بالموت واحتقر جهنم، إلَّا أنه انسحق بدموع الأخوة، إذ يقول:«مَاذَا تَفْعَلُونَ؟ تَبْكُونَ وَتَكْسِرُونَ قَلْبِي» (أع ٢١)، القلب الذي احتمل أقصى حد، إلَّا أنه لم يحتمل أن يبتعد عن أهل تسالونيكي ساعة واحدة! (١ تس ٢).

أودُّ أن أرى رماد يديه اللتين كانتا في سلاسل، ومن خلال وضعهما على الآخرين كان الروح القُدُس يُمنَح، واللتين كُتبت بهما الحروف الإلهية:«انْظُرُوا، مَا أَكْبَرَ الأَحْرُفَ الَّتِي كَتَبْتُهَا إِلَيْكُمْ بِيَدِي» (غل ٦: ١١)، وأيضًا:«اَلسَّلاَمُ بِيَدِي أَنَا بُولُسَ.» (١ كو ١٦: ٢١)، أردت أن أرى رماد هاتين اليدين اللتين بمجرد أن رأتهما الأفعى سقطت في النار. (أع ٢٨: ٣).

أودُّ أن أرى رماد تلك العينين اللتين أُصيبتا بعِمَىً مَجِيدٍ، ثم استعاد البصر مرة أخرى من أجل خلاص المسكونة، واللتين اُستحقتا أن تنظرا المسيح، اللتين نظرتا الأمور الأرضية ولم تلتفتا إليها، اللتين نظرتا الأمور غير المرئية، العينين اللتين لم تعرفا النوم، وظلتا متيقظتين في منتصف الليل، ولم تتأثرا كما يحدث لسائر العيون.

أودُّ أن أرى رماد الرِّجْلَيْنِ اللتين ركضتا في أرجاء المسكونة دون أن تتعبا، الرِّجْلَيْنِ اللتين كانتا مُقَيَّدَتَيْنِ في المقطرة الخشبية، عندما حدثت زلزلة في السجن، الرجلين اللتين ذهبتا إلى مناطق آهلة بالسكان ومناطق مُقفرة، اللتين قامتا برحلات وأسفار عديدة.

ولماذا أتكلم عن أعضاء منفصلة؟ أودُّ أن أرى القبر كله الذي فيه حُفظت أسلحة البِرِّ، أسلحة النُّور، الأعضاء التي هي حيَّةٌ اليوم، لكنها جازت الإماتة وهي حية، التي كان المسيح يحيا فيها، الأعضاء المصلوبة عن العالم، أعضاء المسيح، اللابسة المسيح، هيكل الروح القدس، البناء المقدس، المقيدة بالروح (أع ٢٠)، الراسخة في خوف الله، التي لها سمات المسيح.

هذا الجسد مثل سياج يحمي هذه المدينة، وهو أكثر أَمانًا من كل الأبراج والأسوار الحصينة. ومع هذا الجسد يوجد **جسد بطرس**، لأنه في حياته أيضًا كرَّمه، إذ قال: «صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ لأَتَعَرَّفَ بِبُطْرُسَ» (غل ١: ١٨)، ولهذا عندما رَقَدَ أقرَّت النعمة بأن تعطيه مسكنًا واحدًا مع **بطرس**.

أودُّ أن أرى هذا الأسد الروحي، لأنه كما يبث الأسد غيظة في قطعان الذئاب، هكذا هجم بولس على **عشيرة الشياطين والفلاسفة**، ومثل هجوم الصاعقة نزل على **حشد الشياطين**. لأن **الشيطان** لم يجرؤ على دخول معركة في مواجهة **بولس**، بل كان يخاف جدًا ويرتعد حتى عن بُعد، وكان يهرب بعيدًا إذا رأى **ظل بولس** فقط أو سمع صوته. هكذا أيضًا **سَلَّمَ الزاني للشيطان** – ولو عن بعد – إلَّا أنه أختطفه مرة أخرى من يده (١ كو ٥، ٢ كو ٢)، وهكذا فعل مع آخرين أيضًا لكي يتعلموا ألَّا يُجَدِّفُوا (١ تي ١).

إذًا ونحن نتفهم كل هذه الأمور، لنقف بشجاعة وثبات، إذ أن **بولس** كان إنسانًا شريكًا لنا في نفس طبيعتنا، وله كل الأمور المشتركة معنا، لكنه بكونه أظهر محبة كبيرة نحو المسيح أرتفع فوق السموات، ووقف مع الملائكة. لذا إذا نهضنا قليلًا نحن أيضًا وأشعلنا بداخلنا تلك النار، سوف يمكننا أن نتمثل بهذا القديس. لأنه لو كان هذا مستحيلًا ما كان له أن يصرخ قائلًا: «كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي كَمَا أَنَا أَيْضًا بِالْمَسِيحِ.» (١ كو ١١: ١). إذًا يجب علينا ألَّا نعجب فقط **بالقديس بولس**، ولا أن نكتفي بالاندهاش، بل علينا أن نقتدي به لنكون مستحقين أن نراه عندما نرحل من هذه الحياة، ونشارك في المجد الذي لا يوصف. ليتنا جميعًا نكون مستحقين لهذا المجد بالنعمة ومحبة البشر اللتين لربنا يسوع المسيح، الذي يليق به مع الآب والروح القدس، المجد، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين. ■

غِنَى مِصْرَ بشهدائها

للقديس يوحنا الذهبي الفم

مبارك الله يا أحبائي! شهداء يأتونَنا من مصر! نعم شهداء في هذه المنطقة التي كانت همجية ومقاومة تمامًا للإله الحقيقي! في مصرَ هذه حيث ما كان الفم ينطق إلَّا بالشرور، ولا اللسان إلَّا بالتجاديف ..

ماذا أقول: شهداء في مصر، وشهداء في المناطق المجاورة، ولنقل أكثر من ذلك لأني أرى شهداء في كل الأرض.

ونحن نعلم أنه لو حَصَدَ بَلَدٌ ما من محصوله وفرةً تزيد عن حاجات استهلاكها، فإنها توزِّع الفائض على المدن الأجنبية، كيما تُعَبِّر عن اهتمامها بالعطف على الغير، وكيما تحصل عن طريق تبادل المواد، على كل نوع مما لا تنتجه أرضها. هكذا فعل المصريون فيما يتعلق بمجاهدي الإيمان، فقد صاروا أغنياء حقًا بسبب وفرة هؤلاء الأبطال المسيحيين عندهم، ولم يريدوا أن يحجزوا داخل بلادهم هذه البركة التي نالوها من سخاء الله. بل سُرُّوا بأن يُفرِّقوا الكنز (رفات الشهداء) على كل الأرض. وبهذا السخاء أثبتوا محبتهم للمسيحيين إخوتهم، كما أرادوا أن يمجدوا سيِّد جميع البشر، ويزينوا بلادهم ويظهروها كالمدينة النموذجية، وأم مدائن المسكونة.

لقد أمكن للأحداث العامة التافهة، والمصالح التي لا تتعدى منفعتها اهتمامات العالم الحاضر، أن تُكسِب لقب «المدينة الأم» لمدن كثيرة قديمة، فهي أَولَى من أي مدينة أخرى، تستحق هذا الامتياز الرفيع، المدينة التي تستعِضْنَ توزيع الخيرات الأرضية الفانية، تُعِدُّ أناسًا ليصيروا بعد موتهم حِصْنًا للمدن التي تقبلهم، وحقًا إنَّ رفات الشهداء هي حصن لمدُنِنَا، بل وأضمن من الأسوار السميكة جدًا، حتى ولو كانت من الماس.

ها هم **الشهداء**، إنهم كالصخور الشامخة التي يصعب اقتحامها، بل إن رفاتهم تفعل أكثر من صدِّ هجمات الأعداء المنظورين، إنها تهزم أيضًا **هجمات ومؤامرات الشياطين غير المنظورين**، وتفضح حيلهم بالسهولة التي يسحق بها إنسان مناضل قوي لعب الأطفال. ونحن نقرِّر أنه من أجل ضمان سلام مواطني أية مدينة، قد لا تجدي جميع الوسائل التي يقيمها البشر، مثل الحوائط السميكة والخنادق العميقة، والجنود الكثيرين الشجعان، حينما يستعمل العدو وسائل أكثر ومخترعات أعظم، ولكن مغبوطة هي تلك المدن التي تحميها رفات الشهداء الأمجاد فعبثًا يجترئ الأعداء عليها بكافة وسائلهم وامكاناتهم، إذ يظهر عجزهم الفاضح بإزاء القوة التي يهاجمونها.

بل إن اقتناء هذه الرفات يا إخوتي الأحباء، ليس نافعًا فقط لفضح مؤامرات الناس أو **حِيَل الشيطان الماكرة**، بل حتى لو كُنَّا قد جلبنا على أنفسنا غضب الله بأخطائنا الكثيرة، فلنلجأ إلى هذه الرفات ونحتمي بها وهوذا الله يعود سريعًا ويرضى عن بلادنا. فإن كان قد حدث في الأزمنة الغابرة أن استطاعت بعض الشخصيات البارزة أن تقبل من الله معونة ما، بالتشفع بأمانة القديسين العظام، وأن تربح كثيرًا بالدعاء **بأسماء إبراهيم وإسحق ويعقوب**، فكم بالأولى نستطيع نحن أن نجعل الرب يصير رحيمًا رؤوفًا ومُحبًا لنا، إذ نقدم له ليس فقط أسماء بل وبقايا مسيحيين استشهدوا من أجل مجده.

بل إن قَوْلِيَ هذا ليس بدون برهان عملي، فإني أدعوكم يا مواطني هذه العاصمة (القسطنطينية)، وكذا أنتم أيضًا الغرباء عن حدودنا، نعم أدعوكم أن تقولوا لنا، ما هي القوة القاهرة لأبطال الإيمان هؤلاء؟ إشهدوا لكلامي أنتم يا من بخبرتكم المحسوسة تعلمون الدَّالَّةَ العظيمة التي يتمتع بها هؤلاء القديسون المكرمون لدى الله ... وهي دالة مبنية على أساس، فإن نضالهم من أجل الحق لم يكن جهادًا عاديًا وبلا تضحيات، لأنهم كانوا يدفعون **هجمات واندفاعات الشياطين الرهيبة** بقوة وشجاعة حاسمة، كما لو كانت أعضاؤهم من صخرٍ وحديد، ولم تكن أعضاء زائلة وقابلة للموتِ، فمن يشهد شجاعتهم يحسبهم قد لبسوا تلك الطبيعة الخالدة، غير القابلة للعذاب والهلاك، إزاء الضربات القاسية والممزقة جدًا، فقد كان **المضطهدون القساة الهائجون كحيوانات مفترسة**، يحاصرون أجسادهم غير المقهورة، يثقبون ويحفرون جنباتهم، ويمزقون أوصالهم وَيُعَرُّونَ عظامهم ويبدون نهمين جدًا في قساوتهم الهمجية، ولكن عبثًا كانوا يمزقون الأجساد، وعبثًا كانوا ينشبون أظفارهم الحديدية حتى داخل أحشائهم ، إذ كان مستحيلًا عليهم أن ينزعوا كنز إيمانهم. لقد كان رجاء المضطهدين يخيب، إذ كانوا كالمحاصرين للمدينة الملكية بهدف نهب كنوزها، الذين بعد أن يحطموا أسواراها، يشرعون في كسر الأبواب، وتحطيم المتاريس الحديدية، وخلع البلاط والتنقيب في كل مكان، لعلهم يجدون كنوز الملك، لكنهم ينسحبون بعد ذلك دون أن يكونوا قد تمكنوا من أن يجدوا شيئًا أو أن يحملوا شيئًا.

هذه هي **طبيعة ثروات نفوسنا** ... فباطلًا يسعى أحد ليسلبها بقوة العذاب، حينما تريد النفس أن تسهر عليها بعين منتبهة. فَحَطِّمُوا وانْبِشُوا كما تريدون هذا الصدر، ومزقوا هذا القلب إِرْبًا، فَأَبَدًا لن

تغصبوا النَّفس التي تحركه، على أن تُسَلِّم وديعة الإيمان التي ٱئْتَمَنَتْ عليها. هذه الشجاعة غير المقهورة هي من عمل نعمة الله. من الله الذي يُدَبِّرُ كل شيء من أجل مَجْدِ قديسيه. ويجعل أعضاءهم أدوات لمعجزات باهرة جدًا.

يا لَلْمُعْجِزَةِ الجديرة جدًا بالإعجاب، فإنه عبثًا يثير المعذبون غضبهم الجنوني على الشهداء، كيما ينتزعونَ كنز إيمانهم، وماذا يفعلون؟ لا شيء، إلَّا أن يزيدوا حرصهم عليه وَيُنَمُّوا استحقاقاتهم ويعظموا مجدهم. وليست النفس فقط التي تقبل فَيْضَ النعمة من أجل الجهاد بل الجسد أيضًا له نصيبه في هذا المجال. وليس فقط أنه لا يفقد شيئًا من طاقته الطبيعية، بل مع كون هذه الأعضاء ممزقة تمامًا ومشوهة تمامًا، فإنها تبُدي قوَّةً مُذْهِلَةً للغاية تفوق الإدراك جدًا. أَفَلَا تبدو لكم إذن في غاية الدهشة نصرة هؤلاء الشهداء؟! وخاصة في الوقت الذي يمسك الطغاة بقبضتهم على هؤلاء المجاهدين ويعذبونهم كما يريدون، فَرَغْمًا عن ذلك، ينكسر هؤلاء المعذبون بِخِزْيٍ وَيُغْلَبُونَ، لماذا؟ لأنهم لا يتواجهون مع بشر بل مع إله السماء الذي يسكن فيهم. ومن يقاوم الله ضابط الكل، هل يمكن أن يتوقع إلَّا الهزيمة الأكيدة؟ لا يستطيع أحد أن ينكر أن مثل هذا المقاوم سوف يعاقب على جسارته الجريئة.

هذه هي صفات انتصارات القديسين ... إن نضالهم وجهاداتهم تثير الإعجاب وَتَأْسِرُ القلب، فكم تتأثر القلوب بتذكار الأكاليل المذخورة لثباتهم البطولي. بل إن آلامهم في الواقع لم تقف عند صنوف العذاب التي فَصَّلْنَاها سابقًا، ولم تضع هذه العذابات نهاية لنضالهم. بل إن شر المضطهدين قد هَيَّأَ لهم سيرة أطول وأكثر جهادًا. فمن ذا الذي كان يلهمهم بذلك؟ إنه **الشيطان** الذي كان يتجاسر، ويتصور أمل الغلبة على هؤلاء المجاهدين المكرمين، بمزيد من العذابات المؤلمة، والله لم يمنعه عن ذلك كيما يعلن للعالم بصورة أقوى **جنون غير المؤمنين** من ناحية، وكيما يهيئ للشهداء الفرصة ليضاعفوا أكاليلهم ويزيدوها لمعانًا من ناحية أخرى.

أنظروا أيوب، فإن **الشيطان** قد طلب من الله السماح بأن يضربه بالقروح ويصيبه بأدواء جسيمة، آملًا أن يزعزع هذا المجاهد الشجاع عن التقوى، بتراكم المصائب الثقيلة جدًا عليه، والله قد وافق على الإلحاحات المعوجَّة **لأشر الأرواح المظلمة**، كيما يُظْهِرَ عَبْدَهُ أكثر ضياء، هكذا كان نصيب الشهداء ..

وإذا كان **الشيطان** مثابرًا على غيّه، كان يُعِدَّ مجالًا جديدًا فبعد أن شبع تمامًا من دماء الشهداء، صار يخترع طُرُقًا جديدة للتعذيب، إذ أوقع عليهم أحكام موت مؤلم جدًا بقدر ما هو بطيء أيضًا، هذا الموت البطيء هو أن يعملوا كل عمرهم دون تراخٍ في المحاجر والمناجم فيا لَلْجُنونِ المفرط جدًا، وكيف يجسر على أن يتوقع نجاح هذا الاختراع بعد كل هذه البراهين الواضحة على شجاعة الشهداء التي لا تُقْهَرُ؟ حينئذ رأينا بين الحيوانات المتوحشة أُناسًا صاروا زملاء الملائكة ومواطنين للسماء، ومختارين لسكنى أورشليم العليا، حينئذ فاح في الصحراء عبير القداسة الذي لم تشهده قط المدن والبلدان ...

لقد تحقق فيهم ذلك القول النبوي الذي يقول: «وَيَكُونُ نُورُ الْقَمَرِ كَنُورِ الشَّمْسِ، وَنُورُ الشَّمْسِ يَكُونُ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ» (إش ٣٠: ٢٦)، فهذا النور الفائق كان يبدو من نصيبهم، لأنه ليس شيء قط يوازي تألُّقَ النفس التي حُسبت أهلًا لأن تتألم من أجل يسوع المسيح، مهما كانت الشرور التي تأتي وتنصَبُّ عليها. فإن الإيمان بالنسبة لهؤلاء الشهداء المَنْفِيِّينَ جعلهم يعاينون أمجاد السماء، ومكَّنَهُم من الإحساس بمشاركة صفوف الملائكة الذين هم مواطنو السماء. بل ماذا أقول؟ ماذا كانت حاجتهم للتفكير في الملائكة والسماء حيث أن يسوع رب الملائكة كان مجتمعًا معهم في الصحراء، ألم يعلن **يسوع المسيح** أنه سوف يكون حاضرًا وسط أية ثلاثة أشخاص مجتمعين باسمه؟ فبالأحرى فالمسيحيون ليسوا فقط مجتمعين باسمه بل ومتألمين من أجله بآلام ٱستشهاد لا نهاية لها؟ وهل يستطيع أحد أن يجهل أن الحياة في عمق المحاجر والمناجم هي أقسى ما يمكن أن يكون؟ وأنه ليس هناك مجرم واحد لا يُفضل أتعاب ألف موت على الشرور المصاحبة لهذه الأشغال الشاقة؟ لقد حكم إذن على قديسينا الشهداء بالعمل في المحاجر، هناك كان أناس أجل قدرًا من الذهب يحفرون ويستخرجون الحديد من أعماق الأرض. كان هؤلاء الشهداء الأثمن من أثمن الكنوز يحفرون المناجم. فما أقسى هذه الحياة وما أصعب هذا الوجود.. لقد كانت تتحقق في هؤلاء الشهداء الأوصاف التي استعملها الرسول كيما يصور قديسي العصور الأولى: «لَقَدْ طَافُوا فِي جُلُودِ غَنَمٍ وَجُلُودِ مِعْزَى، مُعْتَازِينَ مَكْرُوبِينَ مُذَلِّينَ، وَهُمْ لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقًّا لَهُمْ.» (عب ١١: ٣٧).

على ذلك فإذ نحن نعلم أن جميع القديسين وأحباء الله، قديمًا وحديثًا، قد نهجوا حياة قاسية متعبة اكتنفتها تجارب بلا عدد فَلَا نَبْحَثَنَّ لأنفسنا عن حياة مريحة أو ناعمة أكثر منها، حياة تتخللها المسرات والتنعمات، بل لِنُقْبِلْ على حياة العمل والجهاد والأتعاب والآلام الكثيرة، لأنه كما أن المجاهد لن يفوز قط بالجائزة إن كان يستسلم لحياة رخوة وكسولة، وكما أن الجندي لن يقتني قط وسامًا فَخْرِيًا، والمَلَّاحَ لن يصل إلى الميناء، والفلاح لن يملأ حقله بالسنابل الوفيرة، إن كان هؤلاء وأولئك لا يُقْبِلُونَ بلا مَلَلٍ على الأعمال المتعبة، هكذا أيضًا لا يمكن لإنسان مسيحي حياته رخوة ومتكاسلة أن يظفر بملكوت السموات. فانظروا في كل مصالح هذا الدهر الحاضر إن كانت الأعمال لا تسبق المسرات، وإن كانت الأخطار لا تتقدم الأمان، فضلًا عن أَنَّنا لا ننال مقابل أتعابنا هذه سوى أجرٍ زهيدٍ قليلٍ، **فيا للحماقة** ...

إن ما يُقَدَّمُ لنا هو السماء وحياة سعيدة بلا نهاية، ومجد الملائكة بعينه، واقتناء هذه الخيرات التي لم تخطر على قلب بشر، ولا يستطيع اللسان أن يُعَبِّر عنها، ونحن نريد أن نحصل عليها دون أن نهجر عاداتنا وحياتنا الرخوة الكسولة الناعمة؟ ولا نعتبرها جديرة بجهود مساوية لتلك التي نبذلها من أجل مصالح تافهة زمنية.

إني أستحلفكم أن تتحرَّروا من هذه الآراء المضرة لأنفسكم والتي تهدِّد مصالحكم الأبدية، أنظروا إلى هؤلاء القديسين المجاهدين المتسلحين بالصبر، والباذلين لأنفسهم واسترشدوا بأنوار هذه المصابيح التي تضيء

لكم، وَلْنُقَوِّمْ حياتنا وَنُكَيِّفْهَا على مثال سيرتهم، نعم لِنُحَاكِ صَبْرَهُمْ وبذلهم حتى تؤازرنا شفاعتهم فنحسب مستحقين عند خروجنا من هذا العالم أن ننعم بمعاينتهم والوجود بجوارهم في المظال السماوية.

ولينعم الله علينا بهذه النعمة، برحمة ربنا يسوع المسيح آمين.

الشيخ إيرونيموس الذي من إچينا
والقاضي التركي الصالح

كان **الأب إيرونيموس الكبادوكي**، الشيخ الشهير في جزيرة إچينا – اليونان، شافيًا عَطوفًا على النفوس إلى حدٍّ بعيد، وأبًا روحانيًا صاحب موهبة الرؤيا يفقه أسرار الأفكار في أعماق القلوب، ورجل صلاة لا تنقطع، ارتقى إلى درجة معاينة الله. كان معارفُه يتعجّبون قائلين أنهم في حضرة القديس اسحق السرياني الثاني. وقد رَقَدَ بالربّ سنة ١٩٦٦.

قبل وقت قصير من **الحرب العالمية الأولى**، زاره رجل تركي في مَنْسَكِهِ المتواضع. أخبر التركيُّ الأبَ بأن سيدَه، وهو قاضٍ، قد أرسله لدعوة الشيخ إلى منزله.

انتاب الشيخَ بعضُ القَلَقِ. لم يَعْتَدْ على دعواتٍ ذات طابع «إجتماعي»، فصار يداخلُه شك بأنه سيخوض تجربةً شيطانية ما. رغم ذلك، صلّى إلى الله وتبع الخادمَ التركي.

حين وصلا إلى بيت القاضي الفسيح، استقبله القاضي بنفسِه بكثير من الحرارة. جلسا على ديوان كبير، ثم بدأ القاضي بالحديث:

«إنني تركي مسلمٌ، يا أفندي بابا. أحتفظُ بما هو ضروري لمعيشة عائلتي من الراتب الذي أتقاضاه، أما الباقي فأوزِّعُه صَدَقات. أساعد الأرامل واليتامى والفقراء، أُؤَمِّنُ المُهُورَ للفتيات الفقيرات ليستطعن الزواج، وأساعد المرضى. أحافظ على الأصوام بتمامها وَأُصَلِّي، وبشكل عام أحاول عيشَ حياة تنسجم مع ما أؤمن به. كذلك الأمر، عندما أجلس للمقاضاة أجاهد لأكون عادلًا دون أن آخذ بعين الاعتبار أي مركز لأي شخص مهما علا شأنُه. ما قولُك، هل كل هذا كافٍ ليكون لي الفردوس الذي تتكلمون عنه أنتم المسيحِيِّينَ؟ ».

كان الشيخ مُعجَبًا بكلام القاضي التركي، وسرعان ما خطر على باله كورنيليوس قائدُ المئة الروماني المذكور في أعمال الرسل. لاحَظَ أن سيرة كل من القاضي التركي وقائد المئة الروماني متطابقتان. وفهم أن القاضي كان رجُلًا عادلًا نبيل المشاعر. فكّر الشيخ في نفسِه: «ربما تكون مهمتي مثل مهمة القديس بطرس الرسول الذي بشّر قائد المئة». لذا، صمم الشيخُ على أن يكون شاهدًا لإيمانه.

«قل لي، يا قاضي أفندي، هل لديك أولاد؟»

«نعم، لدي»

«وهل لديك خدام؟»

«نعم، لديَّ خدام أيضًا»

«مَن مِنَ الإثنين يُنَفِّذ أوامرك أفضل، أأولادُك أم خدامك؟»

«طبعًا خدامي، لأن أولادي – بسبب الدالّة التي لديهم تجاهي– غالبًا من يَعصَون طلباتي ويفعلون ما يحلو لهم، أما خدامي فدائمًا ما يقومون بما أطلبه منهم»

«أخبرني رجاءً يا أفندي، عندما تموت، من سيرِثُ ثروتَك؟ أخدامك الذين نفّذوا أوامرَكَ بأمانة، أم أبناؤك الذين لم يُطيعوك؟»

«طبعًا،أولادي.فهم لهم الحق فقط، بالميراث،على عكس خدامي».

«إذًا، يا أفندي، ما تفعله جيد، لكن الأمرَ الوحيدَ الذي يمكن أن تقوم به أعمالُك الحسنة هو أن تضعك في مصَفِّ الخدام الصالحين. أما إذا أردت أن تَرِثَ الفردوس، أي ملكوت السماوات، فحينها عليك أن تُصبح ابنًا. وهذا ممكن تحقيقُه، فقط، عن طريق المعمودية».

تأثر القاضي التركي للغاية بمَثَل الشيخ، وتحدَّثا لوقت طويل، بعد ذلك. وفي النهاية، سأل الشيخَ أن يُتلمذَه ويعمِّده. وهكذا، وبمدة قصيرة، اعتمَد القاضي الصالحُ وأصبح مسيحيًا.

اعتراف مختصر أمام الكاهن المُعرِّف – من الاعتراف الكامل للقديس ديمتري روستوف

أعترف أمام الرب إلهي وأمامك، ايها الأب الموقّر، بكل خطاياي التي لا تُحصى، التي فعلتها إلى هذا اليوم وإلى هذه الساعة، بالفعل، بالقول وبالفكر. أنا أخطأ يوميًا وفي كل ساعة بعقوقي لله على بركاته التي لا تُحصى وعنايته الخيّرة بي أنا الخاطئ.

لقد أخطأت: بالكلام البطال، إدانة الآخرين، العناد المتعمّد، العُجب، قساوة القلب، الحسد، الغضب، الافتراء، عدم الانتباه، إهمال خلاصي، الطيش، اللامبالاة، قلة الاحترام، حدة الطبع، فقدان الرجاء، رد الشر بالشر، المرارة، عدم الطاعة، التأفف، تبرير الذات، معارضة الآخرين، التشبث بالرأي، لوم الآخرين، النميمة، الكذب، العبث، إغواء الآخرين، محبة النفس، الرغبة، الأكل والشرب حتى التخمة، التفاهة، الكسل وعدم التركيز في الصلاة في الكنيسة والبيت، التغيب عن الخدم الإلهية بسبب الكسل وقلة الاهتمام، التمتع بالأفكار النجسة، النظرات والأعمال البذيئة، اشتهاء الممتلكات الزائدة وامتلاكها، الاستخفاف بالحاجات المادية والروحية للآخرين ولنفسي، عدم الاهتمام بالأرض وببيئتها. لقد أخطأت بالفعل، والقول، والفكر؛ بالنظر والسماع والشمّ والذوق واللمس وكل ما تبقى من حواسي العقلية والجسدية، وبالمشورة والسيطرة والقبول والاستفزاز والمداهنة والتقاسم والسكوت والدفاع.

هنا على المعترِف أن يذكر بشكل خاص كل خطيئة أخرى تُثقل نفسه

أنا أيضًا أتوب وأطلب مغفرة كل الخطايا التي لم أعترف بها لكثرتها ولكثرة نسياني. أنا أتعهد للمسيح بتغيير قلبي وفكري وتصرفي وأتوسل نعمته.

سامحني وحلّني أيها الأب الموقّر، وباركني لأشترك في أسرار المسيح المقدسة والمحيية لغفران الخطايا ولحياة أبدية.

مَا العَمَلُ مع كاهنٍ سيّء

من رسائل القدّيس ثيوفانس الحبيس

سؤال: «كان في رعيّتنا كاهنٌ صالح؛ لكنّه نُقِل إلى رعيّة أخرى. وأتى مكانه آخر، غمٌّ على القلب. في أدائه الخِدَم، هو مستهترٌ ومتعجّل؛ في الحوارات، يتكلّم عن أشياء تافهة؛ إذا بدأ الكلام عن أمور الله، فكلّه يكون باختصار واقتطاع للحقيقة الصارمة. كيف ننجو من تجربةٍ كهذه؟»

جواب: أنتم هُم مَن على خطأ. لم تستفيدوا كما يجب من الكاهن الصالح، فأخذه الربّ منكم. قُل لي، هل أصبحتم أفضل مع كاهنكم السابق الصالح؟ عند هذا السؤال تتلعثم وتجيب «نعم». لكن أنا، من بعيد، أقول أنّكم لم تصبحوا أفضل، على أساس حقيقة أنّكم تدينون الكاهن الجديد، غير عارفين كيف تضبطون مشاعركم تجاهه كما يجب. بالحقيقة، كان عندكم كاهنٌ صالح حتّى قبل هذا الكاهن الصالح الذي غادركم الآن، والذي قبله كان صالحًا أيضًا. أترى كم من الكهنة الصالحين أرسل الربّ إليكم؛ لكِنَّكُم كلّكم لم تصبحوا أفضل. حتّى قرّر الربّ الآن: لماذا هَدْرُ (أو إضاعة) الكهنة الصالحين على هؤلاء القوم؟ أُرْسِلُ لهم واحدًا ليس حسنًا جدًا. وهكذا فعل. نظرًا لهذا، وجب عليكم مرّةً واحدة أن تنتبهوا لأنفسكم، أن تتوبوا وتتحسّنوا، لكنّكم **فقط تدينون**، وتستمرّون في الإدانة مرارًا وتكرارًا. تحسّنوا أنتم، وثمّ الكاهن يتغيّر فورًا. سيفكّر: «مع هؤلاء الناس لا أستطيع أن أستمرّ في عملي المقدّس بِتَهاوُنٍ؛ يجب أن أخدم بوقار وأتكلّم للبنيان.» وسوف يصلح طرقه. إذا كان الكهنة مقصّرين ومتعجّلين في أداء الخِدم وتافهين في الأحاديث، فأغلب الأحيان يكون هذا تَكَيُّفًا مع أبناء الرعيّة.

في قولي هذا، لا أبرّر للكاهن، فهو بلا عُذْرٍ، إذا كان يُعثر النفوس المُوَكَلَة إليه، «فلا يعمل فقط بعكس ترتيب الكنيسة، بل بأعمالٍ غير حكيمةٍ». بل أقول فقط ما هو نافعٌ بالأكثر لكم لتصنعوه في هذه الحالة. والشيء الأهمّ الذي سبق وقلته: لا تدينوا، بل انتبهوا لأنفسكم، وتحسّنوا أنتم في الصلاة وفي الحديث وفي كلّ سلوككم. صَلُّوا من أجل هذا من كلّ قلوبكم، أن يصلح الربّ الكاهن. وهو سيصلحه. فقط صلّوا كما ينبغي. قال الربّ: «إِنِ اتَّفَقَ اثْنَانِ مِنْكُمْ عَلَى الأَرْضِ فِي أَيِّ شَيْءٍ يَطْلُبَانِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَهُمَا مِنْ قِبَلِ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ،» (متى ١٨: ١٩). لذا، يا كلّ أبناء الرعيّة الصالحي الفكر، اجتمعوا معًا وقرّروا أن تُصَلّوا من أجل الكاهن؛ رافقوا صلاتكم بالصوم وضاعفوا صدقاتكم؛ واصنعوا هذا لا فقط ليوم أو اثنين، بل لأسابيع، ولأشهر، ولسنة. جاهدوا وتذلّلوا بانكسارٍ طالما الكاهن لم يتغيّر. وسيتغيّر؛ تأكّدوا من هذا.

سمعتُ مؤخّرًا عن جهادِ مُشَابِهٍ وعن ثمرِه. إمرأةٌ عجوز، قرويّة بسيطة، تقيّةٌ جدًّا، لاحظَت أنّ شخصًا تحترمه بدأ يحيد عن صرامته المعتادة في الحياة، فحزنت جدًّا وشعرت بالأسى من أجله. ذهبت إلى بيتها، وأغلقت على نفسها في كوخها، وبدأت تصلّي بعد أن قالت للربّ: «لن أترك هذا المكان، أو أذوق كِسْرَةَ خبز، أو أشرب قطرة ماء، أو أعطيَ لعينيّ دقيقة نوم إلى أن تستمع لي، يا ربّ، وتعيد هذا الشخص إلى طرقه الأولى.» وعملت تمامًا كما قرّرت: جاهدت في الصلاة وتذلّلت في دموعٍ من قلبٍ حزين، مُلِحَّةً على الرب حتى يستمع لها. وقد تعبت، وبدأت قوّتها تفارقها؛ لكنّها أيضًا صلّت تكرارًا: «ولو متُّ، لن أتوقّف عن الصلاة حتّى يستمع لي الربّ». واستمعَ لها. التأكيدُ وَصَلَها أنّ هذا الإنسان الذي تصلّي من أجله بدأ مجدّدًا يحفظ نفسه كما في السابق. أسرعت لتنظر، فرأت الأمر هكذا، وابتهجت كثيرًا حتى انهمرت دموع شكرها.

وهذا هو نوع الصلاة الذي يجب أن توطّدوه – لا في الشكل، لأنه قد لا يكون ملائمًا لكم كما عملت هي – لكن بحماسةٍ مماثلة، وتضحية ومثابرة. وبالتأكيد تنالون ما تشتهون. إذا كنتم تقولون أحيانًا، «أعطِ، يا ربّ، أن يصبح هو صالحًا» فقط عَرَضًا، إن في المنزل، أو في الكنيسة، أو في الأحاديث، فأيّ نوعٍ من الثمر مُتوقّعٌ من صلاة كهذه؟ لأنّ هذه ليست صلاة، بل كلماتٌ فقط.

قلتُ لكم ما هو أساسي. يجب أن أضيف أيضًا شيئًا واحدًا؛ لكنّه من الأمور التي يصعب جدًّا أن تُعمل بالشكل الذي تُحقّق به غايتها. هذا ما أفكّر به! قد يكون من الممكن لكم، أنتم الصحيحو الفكر والمحترَمون أن تأتوا إلى الكاهن وتسألوه أن يغيّر أفعاله التي تزعجكم وَتُودِي بكم في تجربة. أن تعملوا هذا – ليس من شيء أبسط؛ لكن أن تعملوه بالشكل الذي يؤتي ثمرًا صعبٌ جدًّا. كلّ شيء يجب أن يتنفّس بالحبّ الأكثر صدقًا وغيرةً – لا فقط ما تقولونه، بل أيضًا نظراتكم، تعبيركم، والنبرة في صوتكم. حينئذٍ قد يُرجَى أن يحقّق هذا غايته. لكن من دون هذا الحبّ، الأفضل عدم الإقدام على مثل هذه الخطوة: ستؤدّي إلى الأسوأ، وتسبّب خلافًا محزنًا أكثر. يستطيع أحدهم ربّما أن يكتب له كلّ شيء بأسلوب مماثل، لكن مجدّدًا، كلّ المسألة يجب أن تُعالَج بروح المحبّة المنتصِرة على كلّ الشيء. من الممكن أيضًا إفساد الموضوع كلّه بهذه الطريقة تمامًا كما برؤية الكاهن شخصيًّا. لهذا لستُ أوصي بهذه المقاربة بغير قَيْدٍ. أعلم أنّها قد تُتوّج بالنجاح، لكنّ الأمر الأساس هو التطبيق السليم. قد يوجَد أشخاص جيّدون عديدون يأتون إلى الكاهن، أو يكتبون له من دون رؤيته، ويعبّرون عن كلّ شيء بأَلْطَفَ طريقة؛ لكن من أجل النجاح، تحتاج شيئًا آخر غير اللطافة. اللطف بغير محبّة لَدْغَةٌ جارحة. أعلم أنّه في أماكن أخرى يتصرّفون على هذا النحوِ ثمّ يتباهَوْنَ: «لقد أتممنا دورنا!» لكن أقول أنّه كان أفضل لو لم يفعلوا.

لن أضيف أيّ شيءٍ حول هذا الموضوع – ربّما أمرًا واحدًا: كونوا صبورين. هناك أيضًا طرقٌ أخرى قانونيّة؛ لكنّها ليست من اختصاصي، وأبقى صامتًا بشأنها.

نقلها إلى العربية ريشارد صبوح

بقلم الميتروبوليت إيروثيوس فلاخوس

أحد الأهواء الرئيسية التي تسود الإنسان هي **محبة الذات**. كما سنرى فيما يلي، **محبة الذات هي أم كل الأهواء والرذائل ومرضعتها**.

قال المسيح مشيرًا لمحبتنا لذواتنا تلك: «مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ.» (يو١٢: ٢٥). الكلمة المترجمة «حياة» تعني أيضًا «نفس». إنها حقيقة أن أيًا من يحب حياته وذاته لدرجة مبالغ فيها يهلك تمامًا. عندما يصف **القديس بولس** الأهواء التي سوف تميِّز الناس في الأزمنة الأخيرة، فإنه يذكر **محبة الذات** من بينها، بل أنه يضعها في أول القائمة: «وَلكِنِ اعْلَمْ هذَا أَنَّهُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ سَتَأْتِي أَزْمِنَةٌ صَعْبَةٌ، لأَنَّ النَّاسَ يَكُونُونَ مُحِبِّينَ لأَنْفُسِهِمْ، مُحِبِّينَ لِلْمَالِ، مُتَعَظِّمِينَ، مُسْتَكْبِرِينَ، مُجَدِّفِينَ، غَيْرَ طَائِعِينَ لِوَالِدِيهِمْ، غَيْرَ شَاكِرِينَ، دَنِسِينَ» (٢تي٣: ١-٢).

هذان المرجعان من الكتاب المقدس كافيان في حد ذاتهما لإظهار الضرر الكبير الذي يسببه هوى **محبة الذات** للجنس البشري. سوف أحاول الآن وصف **محبة الذات**، وتحليلها لكي أحدِّد نتائجها الأليمة، ولكي نرى في النهاية كيف يمكن أن نتحرَّر منها.

١ – ما هي محبة الذات

محبة الذات هي محبة عظيمة وطاغية لذواتنا. بحسب **القديس نيكيتا ستيثاتوس**، **محبة الذات** هي «حبٌ مجنون للجسد يجعل الراهب مُحبًا لنفسه، أي لنفسه وجسده». إنها تُغَرِّبُهُ عن ملكوت الله، وعن الله نفسه. لو أن أحدًا أحب جسده بطريقة زائدة وحصرية، متجاهلًا الله وأخاه الإنسان تمامًا، فإنَّنا نقول أنه يحب ذاته ويعاني من هوى **محبة الذات**. يقول **القديس مكسيموس المعترف**: «محبة الذات هي هوى التعلق بالجسد». يشير نفس القديس في موضع آخر لهذا الهوى على أنه «محبة مجنونة للجسد».

نستطيع أن نقول بوجه عام مع القديس مكسيموس أن **محبة الذات** هي «محبة شهوانية مجنونة للجسد، وعكسها هي المحبة وضبط النفس». تضاد **محبة الذات** المحبة وضبط النفس، تمامًا كما تضاد المحبة وضبط النفس **محبة الذات**. من الواضح أنَّنا لا نعني **بمحبة الذات** الاعتناء بالجسد في إطار طبيعي، لكننا نعني الاهتمام الزائد الشهواني بكل من الجسد والنفس.

يكتب القديس مكسيموس مُحَلِّلًا السِّمات المميزة لمحبة الذات قائلًا أن هوى **محبة الذات** «يقترح على الراهب أنه ينبغي عليه أن يشفق على جسده، وأنه ينبغي عليه تحت مسمى رعايته بشكل مناسب أن يأخذ طعامًا أكثر من المعتاد». هكذا، قليلًا قليلًا، يسقطه في **فخ الانغماس في الملذات** على حين أنه يجعل العائشين في العالم «يُشبعون احتياجات الجسد دفعة واحدة». يحثُّنا هوى **محبة الذات** على أن نهتم أكثر مما يجب بالاستمتاع بالطعام والملذات الأخرى والراحة واليُسْرِ، وأن نشبع الشهوات الأخرى المتنوعة. يجعلنا **هوى محبة الذات** نفضل «راحة الجسد على آلام الفضيلة»، ويجعلنا نكف عن أن نضع على أنفسنا بإرادتنا أعمالًا متنوعة «خصوصًا من جهة الجهادات الخفيفة المتعلقة بممارسة الوصايا». من ثم يجعل النفس متباطئة ومتراخية من جهة العبور في طريق الهدوئية، كما يقول **القديس غريغوريوس السينائي**. لا شيء يجعل نفوس المجاهدين في النسك «متباطئة ومهملة وغافلة» مثل **هوى محبة الذات**. هكذا يصف القديس نيكيتا ستيثاتوس أيضًا **محبة الذات** على أنها «**خبيثة**»، مشيرًا إليها على أنها «**رذيلة محبة الذات الخبيثة**».

المثال الدقيق على شخص يحب ذاته هو الغني الغبي في مَثَلِ المسيح. لقد كان يفكر في بناء مخازن جديدة لكي يجمع فيها كل خيراته ثم يقول لنفسه: «يَا نَفْسُ لَكِ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ، مَوْضُوعَةٌ لِسِنِينَ كَثِيرَةٍ. اِسْتَرِيحِي وَكُلِي وَاشْرَبِي وَافْرَحِي!» (لو١٢: ١٩). لم يكن الرجل الأناني مهتمًا بالمرة بشفاء نفسه أو بمجد الله، ولا بخدمة إخوته. لقد كان مهتمًا تمامًا بنفسه، وبنفسه فقط.

كل ما قيل حتى الآن لوصف **هوى محبة الذات** يقودنا إلى فحص نتائجه الأليمة.

٢ – نتائج هوى محبة الذات

يرى القديس نيكيتا ستيثاتوس أن **محبة الذات** هي «عقبة ضد تقدم أولئك المتقدمين جيدًا». إنها تمنع الناس من تكريس ذواتهم لممارسة وصايا المسيح. «إنها توحي لهم بأمراض وَعِلَلٍ جسدية خبيثة، وبالتالي تتضاءل غيرتهم ويقتنعون بالتخلي عن جهادهم الروحي على أساس أنه يشكل خطرًا على حالتهم الضعيفة». بكلمات أخرى، من خلال خلق أفكار عن الأمراض المختلفة، تَكُفُّ النفس عن جهادها النُّسْكِيّ لكي تحفظ وصايا المسيح ولكي تُشْفَى من الأهواء المختلفة التي تزعجها. بالتالي تكون **محبة الذات**، كما يقول **القديس يوحنا السلمي**، حجاب. إنها ليست فقط تمنع النفس من تحقيق شفائها، لكنها أيضًا تخفي الأهواء الموجودة داخلها. لا يريد الشخص الأناني أن يرى نفسه. إنه لا يريد أن يكون واعيًا بفقره الروحي.

يسمي القديس مكسيموس **محبة الذات أم كل الرذائل**، لأنها تلد «الأفكار الثلاثة الأولى والأكثر عمومية التي للشهوة والغضب». هذه الأفكار الثلاثة هي **النَّهَمُ**، **والبُخْلُ**، **وتقديرُ الذات**. يرى نفس الأب

أن **محبة الذات** هي أُمُّ الثرثرة واشتهاء الأطعمة اللذيذة التي تسبب الإباحية، وهي أيضًا أُمُّ البخل والكبرياء. بوجه عامٍ، لو كان لدى المرء **محبة للذات** «**فَمِنَ الواضح أنَّ لَدَيه كل الأهواء**».

ليست **محبة الذات أم الأهواء فقط**، ولكنها أيضًا أُمُّ لكل الأفكار الشهوانية. يتولد **فكر النجاسة** من **فكر النَّهَم**. يَجْبُلُ فكر تقدير الذات بفكر العُجْبِ. تنبع من أفكار النَّهَمِ والبخل وتقدير الذات كل الأفكار الأخرى **كالغضب، والحزن، والامتعاض، والحسد، والنميمة الخبيثة** وما إلى ذلك. تُوْلَدُ كل هذه الأفكار من **محبة الذات** (القديس مكسيموس).

يعلِّم **القديس هيزيخيوس القس** أنه لا يوجد شر أعظم من **محبة الذات**. **محبة الذات** هي أُمُّ تلد أطفالًا كثيرين. أطفالُ **محبة الذات** هم «**العُجْبُ، الرضا عن النفس، النَّهَمُ، النجاسةُ، تقديرُ الذات، الغيرة، ورأس كل هذه هو الكبرياء**».

محبة الذات هي حجاب يغطي النفس، «بحيث أنه لا يمكن أن تتكشف فيها أسس العالم، أي الجواهر الداخلية للأشياء»، وذلك بحسب قول **إيليا القس**. يكون الشخص الأناني أعمى تمامًا حيث أنه لا يستطيع رؤية القوة التي يُوَجِّهُ بها الله العالم والتاريخ. حيث أن الشخص الذي يحب ذاته لا يستطيع أن يتجاوز ذاته فيرى الله والآخرين، فإنه يكره كُلًا من الإنسان والله. هذا هو السبب الذي يجعل القديس مكسيموس يأمر قائلًا: «كُفَّ عن إرضاء ذاتك فلا تَكْرَهْ إخوتك من البشر؛ كُفَّ عن محبة ذاتك فَتُحِبَّ الله».

٣- شفاء محبة الذات

يحتاج الإنسان أن يتحرَّر من هذا الهوى الرهيب الذي «**للمحبة الخبيثة للذات**». لو أنه تصرف بطريقة ما لكي يزيل حجاب **محبة الذات** ويرى بوضوح الأهواء الخفية المترعرعة، فإنه سينتحب بمرارة وستصبح كل حياته غير كافية للتوبة حتى لو عاش مئات السنين، ولو تدفقت الدموع من عينيه مثل نهر الأردن. «إنه لن يهتم بشيء آخر في هذه الحياة، مُعتبرًا أنه ليس لديه الوقت الكافي لكي يبكي على نفسه، حتى لو كان سيعيش مئات السنين، وحتى لو رأى دموعًا تنفجر من عينيه مثل نهر الأردن بكامله» (القديس يوحنا السلمي).

يَكْمُنُ الشفاء في اصطياد **محبة الذات** أينما وجدت. الطرق الرئيسية لتحقيق ذلك هي كالتالي.

ينبغي علينا أن نستسلم بالكامل لإنكار الذات. ينبغي علينا أن نكون مستعدين لتقديم أي نوع من التضحية، وأن نَخضع بإرادتنا لأي نوع من الحرمان بهدف حفظ وصايا المسيح. يقدم لنا بولس الرسول دافعًا لكي نفعل ذلك عندما يقول: «وَلكِنَّنِي لَسْتُ أَحْتَسِبُ لِشَيْءٍ، وَلاَ نَفْسِي ثَمِينَةٌ عِنْدِي، حَتَّى أُتَمِّمَ بِفَرَحٍ سَعْيِي وَالْخِدْمَةَ الَّتِي أَخَذْتُهَا مِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ، لأَشْهَدَ بِبِشَارَةِ نِعْمَةِ اللهِ.» (أع٢٠:٢٤). ينبغي على المسيحي لكي يُشفى من **محبة الذات**، وبالتالي من كل الأهواء المرتبطة بها، أن يكون مستعدًا لأي تضحية. ينبغي عليه أن يعمل عكس ما تُمليه **محبة الذات** والأهواء العديدة الناتجة عنها. إنه يحتاج لضبط النفس في كل ما يعمله.

بالإضافة إلى ذلك، ينبغي على النوس* أن يلجأ إلى الله. يتأتى ذلك من خلال الصلاة وكل المنهج العلاجي الذي للتقليد الأرثوذكسي. عندما يتذوق نوسنا حلاوة محبة الله، فإننا نتحرر من **هوى محبة الذات** ونجد شجاعة لكي نحفظ ناموس الله، ولكي نراعي مشيئة الله في حياتنا.

ينبغي علينا أن نبذل مجهودًا لكي نُظهر المحبة نحو الآخرين من الناس. حيث أن **محبة الذات** تجعلنا ننغلق على أنفسنا، فإنَّنا نحتاج لأن ننفتح على إخوتنا. من أجل ذلك، ينبغي علينا أن نضحي تمامًا بأي شيء يجلب لنا الارتياح والراحة الجسدية. لقد عبَّر القديسون عن هذا الحب الباذل في حياتهم، حيث أنهم فَضَّلُوا خلاص الآخرين على خلاصهم. لا ينبغي إظهار هذه المحبة من خلال عطايا المال فقط، لكن «بالأكثر من خلال إعطاء المشورة الروحية والاعتناء بالناس في حاجاتهم الجسدية» (القديس مكسيموس).

بوجه عام، ينبغي أن تنمو بغضة الذات المقدسة. فكلما أبغضنا ذواتنا، تحرَّرنا من **محبة الذات**، اتسع أفقنا الروحي. لقد علَّم المسيح قائلًا: « وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ.» (يو ١٢:٢٥). في نص آخر يعلن المسيح ويطلب أيضًا: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا » (لو١٤:٢٦). هذه البغضة المقدسة التي يجب أن تترسخ فينا، تظهر بصورة رئيسية من خلال التوبة. فالتوبة الحارة المستمرة سوف تمنعنا من أن نحب أنفسنا برغباتنا الشريرة وأهوائنا الساقطة. تجعلنا التوبة نقسو على أنفسنا بحيث نرضي الله ونتبع مشيئته. إنها قاعدة للحياة الروحية أننا كلما أحببنا ذواتنا **كرهنا الله**، وكلما كرهنا ذواتنا **أحببنا الله**.

ينبغي علينا أن نتحرر من «**محبة الذات الخبيثة**». للأسف، نحن نلاحظ أن كل طريقة الحياة محكومة بهذا الهوى. حتى المسيحيون واقعون بشدة في قبضته حتى أنهم لا يعيشون حياة المحبة. نحن مسيحيون، ومع ذلك لا نحب. تنقصنا السِّمَةُ المميزة لتلاميذ المسيح لأننا **أنانيون، ذاتيون، منفردون**. ينبغي أن توجه كل جهودنا نحو التخلص من حجاب **محبة الذات** الذي يمنعنا من أن نصبح أشخاصًا وبالتالي أعضاءً حقيقيين في كنيسة المسيح ومواطنين في ملكوت السموات.

النوس: يشكِّل النّوس موضوعًا رئيسيًا في التعليم الرّوحي لمكسيموس المعترف. والنّوس بحسب التعريف الأرثوذكسيّ هو الذّهن mind، الذي يختلف عن العقل reason. ويشرح سلوان أونر عن هذا معنى هذا المصطلح:

يشكل النوس أو الذهن جزءًا من الطبيعة البشرية، والحرية هي من تركيبة هذا النوس الأساسية، وبما أن الله والإنسان أحرار فبالتالي هنالك يلتقيان. (يُشار إلى أنّ الذهن، أو "النوس"، في اليونانية، لا يعني العقل، أو "الذيانيا"، العقل هو عضو القوى الإدراكية في الدماغ فيما الذهن هو عضو القوى الروحيّة في القلب. وفي الصلاة يتم حضور الذهن أمام يسوع)، وبالمقابل يشكل هذا النوس ساحة الحرب الأساسية للشيطان ضد الإنسان.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

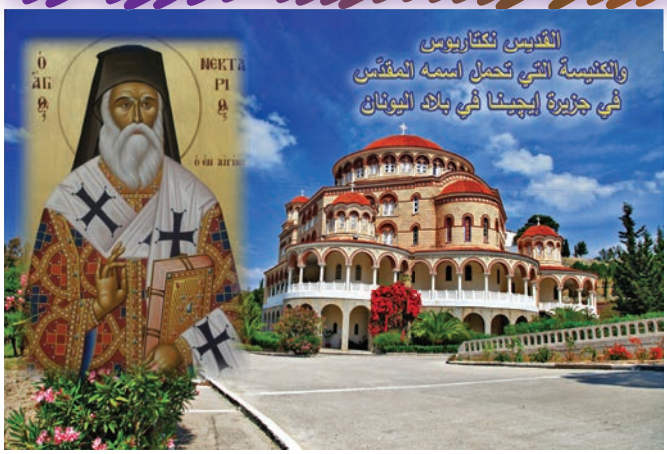

✝ الفصل السابع ✝.

«وَكَانَ الْجَمِيعُ يَشْهَدُونَ لَهُ وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ كَلِمَاتِ النِّعْمَةِ الْخَارِجَةِ مِنْ فَمِهِ» (لوقا ٤:٢٢).

«بِخَيْرِ الصِّدِّيقِينَ تَفْرَحُ الْمَدِينَةُ.» (ام ١١:١٠).

أمضَى نكتاريوس أيام الانتظار السبعة في الصلاة والصوم، والألم المُبَرِّحُ يكتنفه، مُضِيفًا هذه الجواهر إلى حسابه السماوي. إلَّا أن الفضيحة التي حاول تفاديها حلَّت من دون أن يضطر إلى نشر رسالة الدفاع.

فقد وصل من مصرَ إلى أثينا وُجَهاءُ من كبار تجّار القطن. وهم أشخاص واسعو الثراء والشهرة، فقلبوا بمجيئهم المطرانية والوزارة رأسًا على عقب: وراحوا يصيحون بغضب: «لعن الله المُكايدين، وَلْيُخْزَ صفرونيوس. لِيُخْزَ لأنه سمح بانتشار الأكاذيب والوشايات الوقحة! ماذا فعلتم بمبشِّرنا القديس؟ وأين هو الآن هذا الرَجُل المعذّب النفس؟» وبحثوا عنه بإلحاحٍ في كل مكان ليحظوا بمقابلته وتقبيل يديه.

لم يكن القادم شخصًا واحدًا ولا شخصين: لقد جاء منهم الكثيرون، ما يكفي لكي يتغلّبوا على يونانيّي البلد، ويعيدوهم إلى صوابهم، فيدركوا الحقيقة. ولقد اضطروهم للكتابة في الحال إلى متروبوليت ايبوس، لاطلاعه على حقيقة الوضع.

وإذ كانت الإشاعة الكاذبة تنتقل بسرعة على الأفواه، فَتَكْبُرُ وتتضخَّمُ، فيبدو أن الأمر نفسه يحصل لكلمة الحق التي ترتفع لتشهد للفضيلة التي في أوْجِ ظروف الاضطهاد:

– ماذا تقول يا عزيزي؟ إن نكتاريوس بريء؟ هذا لا يُصَدَّق!

– لا عيب فيه، طاهر كالثلج! لكنه ضحيّة المكايدين.

– والمفترين ...

– إن العالم قد أصبحَ سيئًا لهذه الدرجة! ...

– ويُقال إنهم كهنة البطريركية ... انه الحقد الرهباني!.

هكذا تناقَلَ أهل خالكيس التعليقات بسرعةٍ كبيرةٍ خلال أيام الانتظار السبعة تلك ... بسرعة كبيرة ... حتى بلغت ابن الله الحيّ، سَيِّدَهُ الحبيب الذي تنازل من عرشه المقدَّس ليعمله بقراره ويكشف إرادته للراعي المتواضع: لا لم يكن يريده أن ينزوي في قلاية، ولا يرغب في ابتعاده عن الناس ليذهب إلى جبل آثوس. كان يهيّئه ليكون هو أيضًا صيَّادًا للنفوس. لأنه هو {السيِّد} كان أوَّل من يشفق على البلد وعلى شعبه المُتْعَب الذي يسير مُنْكَسِرَ الخاطر وسط الذئاب ودون أي توجيه روحيّ ...

القديس يوحنا السلّمي

وفي الأحد الثالث، ذلك الأحد المصيري، أحد الامتحان، حدَثَ أمرٌ غريب، أمرٌ لا يخطر في بال أحد: كانت الكاتدرائية ممتلئة بالناس وكأنها ستنفجر. وكانت النساء يتزاحمن في الرواق المخصص لهن. قد أتى الحشد من كل مكان، من الشمال والجنوب، وحتى من **قُرى كيمي وأليفيري وكاريستي**. وإذ صعد إلى المنبر سادَ الكنيسةَ السكونُ التام. حتى لو أن ذبابة طارت في الجو لَسُمِعَ حفيف أجنحتها!

وراح كُل هؤلاء الغرباء يحدقون في عينيه بإلحاح، وكأنهم يطلبون منه المغفرة. فبدأ حديثه عن الكبرياء قائلًا: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيمًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوَّلاً فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْدًا» (مت ٢٠:٢٦).

فلم تُسمع أية تمتمة ولا ابتسامة، بل كان الصمت والانتباه والتأثر والرهبة والوقار يسود المكان كلّه. فبدأ عظته قائلًا:

– يا اخوَتي، يا ابنائي في المسيح، كتب **القديس يوحنا الذهبي الفم**، هذا البطريرك العظيم في تاريخنا الأرثوذكسي، في مكانٍ ما عن الكبرياء: «إذا كان رأس الحكمة مخافة الله، فإنَّ رأس الجنون تجاهل الله». ليس هناك غير المجنون، أو الأعمى بالروح لا يرى ولا يتأثّر لمعاينة روائع الله وحضوره الكلّي القداسة. فكل ما نراه يُظهر ألوهِيَّتَهُ إنْ في السماء أو على الأرض، في الطبيعة الفسيحة. خذوا مَثَلَ حبة القمح البسيطة التي يمكن أن نسحقها بسهولة. **ولكن من منا يستطيع أن يصنع حبة قمح؟ العلم؟ التقنية؟ أم الفلسفة؟ أم الاختراع؟ لا أحد.** وحده الله الكلّيّ القدرة هو من يستطيع خلق هذه الحبة. وبفَضلِ هذه الحبة وزراعتها يُشبع الكَوْنَ بأسره. يقول **يشوع بن سيراخ** في العهد القديم: «أَوَّلُ كِبْرِيَاءِ الإِنْسَانِ ارْتِدَادُهُ عَنِ الرَّبِّ، إِذْ يَرْجِعُ قَلْبُهُ عَنْ صَانِعِهِ. فَالْكِبْرِيَاءُ أَوَّلُ الْخَطَاءِ، وَمَنْ رَسَخَتْ فِيهِ فَاضَ أَرْجَاسًا.» (سيراخ ١٠:١٤-١٥). ويقول **القديس يوحنا السلَّمي**: «كما يمقت السارق نور الشمس، يزدري المتكبِّر الودعاء. إنَّ الكبرياء تدخل من باب الجحود والجهل».

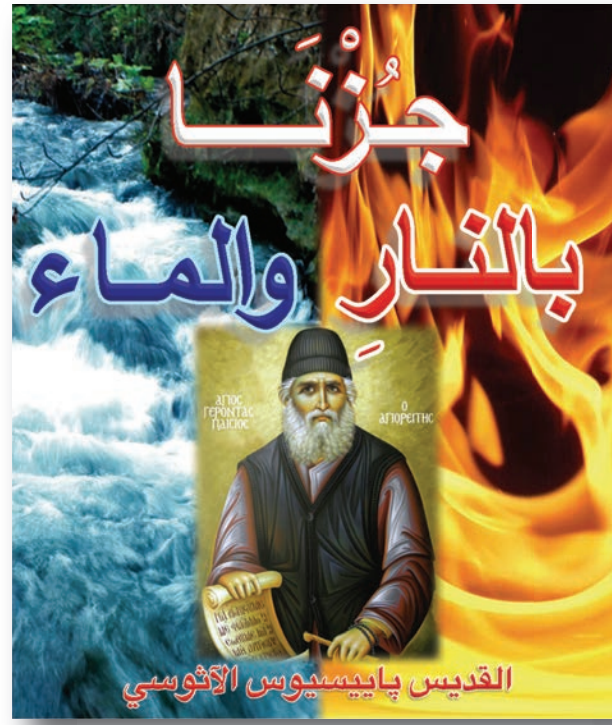

الباب الخامس

لِئَلَّا تَحزَنوا كغيْرِكم ممن لا رَجَاءَ لهم

✝ تَعزِيَةُ الحَزَانَى ✝

✝ ياروندا، يحتاجُ الناسُ إلى قوَّةٍ كبيرةٍ ليُواجهوا الموتَ الفجائي!

✝ إذا فهموا المعنى الأعمق للحياةِ، فسيجدون القوَّة اللازمةَ لمواجهة الموتِ لأنَّهم يُواجهونه روحيًّا. يموتُ الكثيرُ من الأطفالِ والشبابِ بسببِ درَّاجاتهم الهوائية! فهُم يتسابقون بها، مُعَرِّضين أنفسَهم للحوادثِ والإصاباتِ الخطيرةِ. وكلُّ هذا فقطْ لرغبتهم بتخطِّي الشخص التَّالي! وقد يقولون بتبجُّح، «كُنتُ أتسابقُ مع غيري عندما وقعتُ». هل تَرين كيفَ يُحرِّضهم الشرير لِيُؤذوا رؤوسهم! ولوْ فعلوا ذلك بطريقةٍ أخرى، لأُصيبوا إصابات طفيفةً في مكان آخر، ولما كانوا قَضوا بقيَّة حياتهم مُشَوَّهين. لكن، لكي يسمح اللهُ لشرِّ المُجرِّبِ أو لطيش إنسانٍ آخر بالتسبُّب بهذا الأذى، فلا بدَّ أنَّ شيئًا جيِّدًا ما سيَنتجُ عَنه.

✝ ياروندا، لماذا إذًا تُصلِّي كنيستنا «ونجِّنا منَ الموتِ الفجائيّ»؟

✝ هذا موضوع آخر. تَعني هذه الصلاة ألَّا نُوجَد غيرَ مستعدِّين عندما يُفاجئنا الموتُ.

✝ ياروندا، لا يمكنُ أن تتعزَّى أمٌّ ماتَ ابنها بحادثِ سيارةٍ وهو ذاهبٌ إلى عمله.

✝ فكِّري معها هكذا: «هل تَعمَّدَ السائقُ ضرب ابنكِ؟ كلَّا. هل أرْسَلتِ ابنَكِ للعملِ كي يموت؟ لا. إذًا يجب أن تقولي: "المجدُ لك يا الله!" لأن ابنَكِ كان يُمكِن أن يُصبحَ سيِّءَ الطبع، مغرورًا وبغيضًا. لهذا، أخذه اللهُ بأفضلِ وقتٍ، وهو الآن بمأْمنٍ في السماء. فلماذا تبكين؟ هل تريدين أنَّكِ تُعَذِّبين ابنكِ ببكائكِ هذا؟ هل تُريدين أن يتعذَّب ابنكُ أو يبتهج؟ لذلك، فكِّري بمُساعدةِ أولادكِ الآخرين البعيدين عن الله، وابكي من أجلهم».

البارحة، أتت إليَّ أمٌّ وهي تبكي وتقول:«لقَد أخذَ الله طِفلي العزيز الوحيد» وبدأت تلوم الله. فقلتُ لها: «لو فكَّرتِ بطريقة مختلفةٍ، لعَلِمتِ أنَّ الله قد شَرَّفَكِ. فقد أخذَ طفلكِ كملاكٍ في السماءِ. وعو مُعمَّد. وأنتِ تَلومين الله؟ وسوفَ تجدين أنَّه سَيَتَشفَّع إلى الله من أجلِك». فيما بعد، عندما تكلّمت معي عن حياتها، شَرَحتْ أنه كان بمقدورها إنجاب أطفالٍ غيره، لكنَّها لم ترغَب بذلك عندما كانت شابّةً.

تُصلِّي الكثيرُ من الأُمهات لكي يكونَ أولادُهن قريبين من الله! إذ يقُلْنَ: «يا إلهي، لا أعرفُ ماذا ستفعلُ، لكنِّي أُريدُ فقط خلاص طفلي، وأن يكون قريبًا منك». لكن، إذا رأى اللهُ أنَّ هذا الطفل سَيَضِلُّ، أي سيسيرُ نحو هلاكه ودمارِهِ وما من وسيلةٍ أخرى لخلاصه، فعندها يُقَرِّرُ أن يتدخل. فقد يسمحُ، على سبيل المثالِ، لسائقٍ سكران أن يصدمه بسيَّارته ويتسبَّب بمقتلهِ، وبهذا يَأخذه إلى الفردوسِ. أمَّا إذا وُجِدَ احتمالٌ بأن يصيرَ أحسن، فيسمحُ الله بحدوثِ أمرٍ ما يمنعُ الحادث. عندها، يصحو السائقُ السكِّير الذي تَسبَّبَ بالحادث ويُدرك الجريمة التي اقترفها، فيشعر بالندم لبقيَّةِ حياته. ويصرخُ قائلًا: «لقد صرتُ مجرمًا»، ويتوسَّل إلى الله دائمًا أن يغفر له، فيَخلُص هو أيضًا. أمَّا الأُم فتحافظ على رباطة جأشها رغم الألم الذي يعتصر قلبها بسبب هذه الظروف الصعبةِ، فتفكِّر بالموتِ وتجهِّز نفسها للحياةِ الأخرى، فتخلُصُ هي أيضًا. هل أدركتِ كيف يدبِّر الله خلاص النفوس بواسطة صلوات الأُمهات؟ وفي حالِ لم تفهم الأُم ذلك، فسوفَ تلوم الله! ماذا يتوقع الله منَّا!

عندما يتوقَّف الإنسان عن مواجهة الأمور بطريقةٍ أرضيّةٍ، فسينال راحة البال والطمأنينةَ. فكيفَ يُمكنُ له أن يتعزَّى، إذا لم يؤمن بالله وبالحياة الحقيقيّة، أي الحياة الأبدية بعد الموت؟ لمَّا كنتُ في **دير ستوميّو، كونيتسا**، اعتادت أرملةٌ أن تذهب باستمرار إلى المقبرة وتنتحب هناك لساعاتٍ، مزعجةً سكّان المنطقة بصراخها ونحيبها. وقد كانت تلطم على صدرها وتضرب رأسها على شاهدةِ القبر! لقد أفرغت هناك كل حزنها وألمها. وقد أخرجها الناس من هناك لكنَّها كانت تعود مرَّة ثانيةً. دامَ هذا الوضع لسنواتٍ. فزوجُها قد قُتل على أيدي الألمان، وبعد موته بعدّة سنواتٍ، توفِّيَت ابنتُهما، التي كانت قد بلغت للتوّ التاسعةَ عشرةَ من عمرها، بنوبةٍ قلبيّةٍ، تاركة الأُم التعيسة لوحدها. عند النظر لحالة هذه العائلة من الخارج، قد يسأل أحدهم: «لماذا سمح الله بحدوث هذا؟». واجهت هذه المرأة الوضع بطريقةٍ سطحيّةٍ خارجيّةٍ فلم تجد أيَّ عزاء.

وفي أحد الأيام، ذهبتُ لأرى ما الذي يجري، فأخذَت تقول لي: «لماذا فعل الله هذا؟ فزوجي قُتِلَ في الحربِ. وكان عندي ابنةٌ وحيدةٌ، فأخذها هي أيضًا». ثمَّ تابعت حديثها، ملقيةً اللوم على اللهِ. وبعد

أن تركتُهَا لِتُفرِغَ ما في جعبتها من كلامٍ، تحدَّثتُ معَهَا، «دَعيني أقول لكِ شيئًا. لقد كنتُ أعرف زوجَكِ، الذي كان رَجُلًا صالحًا. وقد مات في الحرب دفاعًا عن وطنه، مؤدِّيًا واجبه المقدَّس. فاللهُ لم يَتَخَلَّ عنهُ. ثُمَّ دبَّر الربُّ أن تبقَى ابنتُكِ معَكِ لبضعِ سنين، حتى يعطيكِ قليلًا من العزاء. لكن، ولأنَّ ابنتَكِ يُمكنُ لها أن تضلَّ في حياتها لاحقًا، فقد اختار أن يأخذها وهي في حالةٍ روحيّةٍ جيّدةٍ لكي يُخلِّصها». وبينما كان الزوجُ رجُلًا هادئًا نوعًا ما، كانت هذه المرأة دنيويّةً. وأنا بالطبع، لم أقُل لها ذلك، بل سألتُها:«بماذا تفكّرين في هذه اللحظة؟ هل تحبّين هذا العالم؟». فأجابَتْ: «كلَّا ، أنا لا أريد أن أرى أحدًا ولا أرغبُ بأيّ شيء». قلتُ لها: «هل تَرين، حتى العالمُ صارَ ميتًا عندَكِ. فالأ لم يُساعدكِ، وأنتِ لم تعودي تهتمين بأي شيءٍ أرضيّ. وبهذه الطريقةِ ستجتمعين مع عائلتكِ ثانية في الفردوس. ولِمَن أعطَى اللهُ شرفًا كهذا الذي خصَّكِ به؟ هل تفهمين الآن؟». وبعد هذا الحديثِ، توقفت عن الذهاب إلى المقبرة. وحالما أدركتِ المعنى العميق للحياةِ، هدأت.

✝ يارووندا، سمعتُ بأنّه إذا قُتِلَ شخصٌ ما، فسوفَ يتحرّر من خطاياه، لأنها ستُنقَل إلى المجرم الذي قتله.

✝ يكون وضع الإنسان المقتول مخفَّفًا نوعًا ما. فيمكنه أن يقول للهِ: «كنتُ سأتوب، لكنّه قَتَلني». ولهذا يقع ثِقَلُ المسؤوليّة على القاتلِ. يقولُ بعض الناسِ الذين يَنقصهم الفهمُ والذكاءُ: «لو كان اللهُ موجودًا، لما سمحَ بحدوثِ جرائم القَتلِ، ولعَاقَبَ القتلةَ». وهم لا يفهمون أنَّ اللهَ يسمح بأن يبقَى المجرمُون على قيد الحياةِ لكي لا يكونَ لديهم أيُّ عذرٍ، في يومِ الدينونةِ، عن عدمِ توبتِهم ، رغمَ السنواتِ التي أُعطيَتْ لهم ليتُوبوا. من الناحيةِ الأُخرى، سيهتَمُّ اللهُ بالذين قُتِلوا.

الأرانب والجنس – القديس إكليمندس الاسكندري

يبقى لنا الآن أن ننظر في شأن الانضباط الذي يختص بالاتصال الجنسي، لأولئك الذين هم في شركة الزيجة. إنجاب الأطفال هو هدف الزواج، وتحقيق هذا الهدف هو تكوين عائلة كبيرة، كما أن الأمل في المحصول هو الذي يدفع المزارع لزرع بذرته، بينما الحصاد الفعلي للمحصول هو تحقيق هذا الأمل.

قد تسلمنا وصية «أثمروا» (تك١)، ويجب أن نطيع. في هذا الدور، يصير الإنسان مثل الله، لأنه يتعاون معه بطريقته البشرية في ولادة إنسان آخر.

لكن ليس كل أرض ملائمة لاستقبال البذرة، وحتى إذا كانت ملائمة فليس من خلال نفس المزارع. يجب ألَّا تبذر البذرة على أرض صخرية، أو يتم بعثرتها في أي مكان (مت١٣)، لأنها المادة الأولية للإنجاب، وتحتوي في داخلها على مصدر الطبيعة. أنه بلا شك أمرٌ شريرٌ إذًا، أن تزدري بمصادر الطبيعة بإهدارها في أماكن غير طبيعية.

أتتذكر كيف شجب **موسى** – في حكمته – البذرة التي لا تثمر، قائلًا بشكل رمزي: لا تأكلوا الأرنب ولا الضبع (تث ١٤). فهو لا يريد الإنسان أن يتلوث بصفاتهم، ولا حتى أن يتذوق طياشتهم، إذ أن هذه الحيوانات شهيتها لا تشبع من الجماع الجنسي. يمتطي الأرنب الأنثى بشكل متواصل، يقفز عليها ويجتم من الخلف. تحمل أنثى الأرنب كل شهر، بل حتى قبل أن يولد الجنين تصير حبلى مرة ثانية. تحبل وتلد، وحالما تلد تلقح ثانية من خلال أول أرنب تقابله. وبدون الشبع بزوج واحد تحبل ثانية بالرغم من أنها مازالت تُرضِّع.

لذلك هذا المنع السِّري الذي وضعه **موسى** هو في الواقع ليس إلَّا مشورة ونصيحة لضبط الاندفاع الجنسي العنيف، والجماع في أوقات متعاقبة بشكل متكرِّر، والعلاقات مع المرأة الحامل، والزنى، والدعارة.

في الرباط الزيجي، تسمح الطبيعة بما هو متطابق مع الطبيعة ومفيد ومحترم، تسمح لنا بأن نرغب في فعل التناسل. إلَّا أنه أي شخص مذنب بالإفراط (في الجنس)، يخطئ ضد الطبيعة، وبانتهاك النواميس المنظمة للاتصال الجنسي يؤذي نفسه.

تُرجم من سلسلة آباء الكنيسة:

Reference: Fathers of the Church Series Vol 23, Catholic University of America Press, Saint Clement of Alexandria, The Educator, Part 2, Homily 10

الزوجة شريكة حياة، قبل أن تكون شريكة مسؤوليّة، وهي سيدة البيت، وليست خادمة المطبخ، وصديقة الرحلة، وليست حصان العربة.

تكمن السعادة في بيتك، فلا تبحث عنها في حديقة الغرباء

الأرثوذكسيّة (٧١)
قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار قاعدة الإيمان

الناطق بالأنبياء

ماذا يمكن أن يعني لنا الروح القُدُس اليوم؟

رأينا فيما سَبَق ما يعنيه الروح القُدُس للرُسُل الأوائل، دعنا نرى ما يمكن أن يكون لنا اليوم.

نسمعَ بين من يعملون في مجال الكهرباء ما يسمَّى بـ : «الطَّاقة الكهربائية للمنزل». كثيرًا ما نقرأ في الجرائد عن سؤال مطروح: «هل منزلك مُتَّصِل بطاقة كافية لتشغيل جميع ما تحتاجه لمعيشة كافية تَفِي بالـمُراد؟ ». إن لم يَكُن فَأنتَ باستمرار تحرق الـمُنصهر عندما تضع أحمالًا ثقيلة جدًّا على «طاقة البيت». إنَّ نفس الأمر يحدث في حياتنا الشخصية. تَفَكَّر في الاحتياجات الهائلة الثقيلة الـمُلقاة على عاتِق «قوَّتنا الشخصيّة» كل يوم. تَفَكَّر في القوَّة الداخليّة التي نحتاجها حتى نكون على مُستوَى التَّواؤُم مع ضغوط الحياة اليوميّة. إن لم يكن لنا قوَّة داخليَّة كافية، نحن نحرق الـمُنصَهِر. نحن نحرق أهم ما فينا. نحن نتمزَّق. إنَّها علامة الإحباط وعدم الـمُواءمة لمواجهة احتياجات الحياة.

إنَّه روح الله الذي اقتحم البشريَّة يوم الخمسين، الذي منح الرُسُل القوَّة الداخلية ليواجهوا جميع الضُغوط الخارجيّة بانتصار. إنَّ نفس الروح القُدُس مُتاح لنا اليوم. المسيح وعَدَ: « لكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ » (أع ١: ٨). وهذا الوعد موجَّه لنا نحن أيضًا اليوم كما كان موجَّهًا للرُسل الأولين.

إنَّ أردأ نصيحة يُمكن أن نقدِّمها للناس الذين بلَغوا نهاية المطاف في إمكانيَّاتهم هي أن يُحاولوا بأكثر جهد. إنَّهم فعلًا قد استنفدوا كل طاقاتهم، وهم ليسوا في حاجة إلى مزيد من الجهد، ولكن إلى مزيد من البنزين في مستودع الوقود، إلى مزيد من القوَّة. هذه هي القوَّة التي جعلها الله مُيَسَّرة لنا في الروح القُدُس.

– سألت طفلة أباها ذات يوم: «قالوا لي اليوم في مدارس الأحد إنَّ الروح القُدُس يأتي ويعيش فينا، كيف يمكنني أن أعرف أنَّ الروح القُدس داخِلي؟».

– فَكَّرَ الأب للحظة ثمَّ قال لها: «هل تتذكَّرين ما حدَثَ أثناء عودتنا من الكنيسة إلى المنزل هذا الصباح».

– «هل تقصد إطار السيَّارة عندما أُصيب وفرَغَ من الهواء؟».

– أجاب الوالد: «نعم، إنَّ هذا الإطار الـمُفَرَّغ قد يساعد على إجابة سؤالك. يُمكن للهواء داخل الإطار أن يحمل ثِقَل عربة صغيرة أو عربة نَقْلٍ أو طائرة هابطة إلى الأرض. أنتِ لا تستطيعين أن تَرَي الهواء، ولكنك تعلمين وتَرين تأثيره، وما يحمله.

«هكذا نحنُ لحدٍّ ما مثل هذا الإطار، عندما يكون الروح القُدُس داخلنا، نكون أقوياء قادرين أن نحتفظ بإيماننا حتى ولو لَزِمَ أن نحتَمل صعوباتٍ جمَّة، ولكن بدونه فإنَّ حياتنا تكون خاوية روحيًّا وفارغة ومائتة».

يخبرنا العلماء أنَّه يوجد ضغط على كل بوصة مربّعة من جسمنا مقداره ١٥ رطلًا، وتستطيع أجسادنا احتمال هذا الضغط لأنَّه يوجَد ضغط داخلي يَدفَعُ ويقاومُ الضغطَ الخارجي، وبهذا يحدثُ تساوٍ وتوازن بين الضغطين. **كم من ضغط أقوى يضغط بشدَّة على أذهاننا وأنفسنا كل يوم؟ كَم من خطيئة! كم من حزن! كم من تجربة! كم من أسىً! كَم من صعوبة! كم من مخاوف! كَم من قلَق!** كيف يمكننا أن نقاوم هذا الضغط الخارجي بدون قوَّة داخلية، تلك التي يمدُّنا بها الروح القُدس؟

فلا نعجب إذًا من المرنم عندما يصرخ:«لاَ تَطْرَحْنِي مِنْ قُدَّامِ وَجْهِكَ، وَرُوحَكَ الْقُدُّوسَ لاَ تَنْزِعْهُ مِنِّي.» (مز ٥٠: ١١). خُذ أيّ شيء آخر لديَّ، لكن ليس الشيء الوحيد الذي يجعل الحياة ممكنة وموجودة. طالما موجودٌ فيَّ روح الله، فكل وَحْشَةٍ وكآبةٍ ودمارٍ يُمكن على الأقل احتماله. أمَّا إن فارقنا هذه الروح، فقد مَضَت معه كل تقوية؛ لا نورَ يُرْشِدُ، لا صوت يُعطي معنى للحياة، ولا يدَ لتضبط وتثبِّت وتُهَدِّيء.

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرلس رئيس أساقفة أورشليم

العظة الخامسَ عشرةَ «... وسيأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء»

١٩- الظروف المحيطة بعودة الرب:

لنتطلّع ونترقّب مجيء الرب من السماء على سحابة. عندئذ تدوي أصوات الأبواق الملائكيّة: «وَالأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلاً، ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعًا مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ» (١تسا ٤: ١٦-١٧)، لينالوا مقابل جهادهم الذي يفوق القوى الطبيعية كرامةً أفضَل من الكرامة البشرية، كما يقول بولس الرسول في رسائله: «لأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ بِهُتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ وَبُوقِ اللهِ، سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلاً. ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعًا مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ، وَهكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ.» (١ تسا ٤: ١٦-١٧).

٢٠- سفر الجامعة يحذّر من تفسير الأيام العسيرة:

وقد رأى سفر الجامعة مجيء الرب ومنتهى العالم، فقال: «إفرح أيها الشاب في صبائك، وليطب قلبك في أيام شبابك؛ واقصِ الغمّ عن قلبك وباعد السوء عن جسدك؛ واذكر خالقك قبل أن تأتي أيام السوء. قبل أن تظلم الشمس والنور والقمر والكواكب ... وتظلم النواظر من الكوى (**يقصد بذلك قوّة بَصَرنا**)، وقبل أن يحلّ حبل الفضة (**يعني بذلك تشابك النجوم، إذ يُشبه منظرها الفضة**)، وتنسحق زهرة الذهب (**يعني الشمس التي تشبه الذهب، لأن نبات البابونج المعروف له أوراق كثيرة مثل الأشعة تخرج منه وتحيط به**)، ويقوم الإنسان عند صوت العصفور، ويرى من العلوّ ويتخوّف في الطريق» (الجامعة ١١: ٩ - ١٢: ٦). وماذا يَرى؟ - «يرون ابن الانسان آتيًا على سحاب السماء» (متى ٢٤: ٣٠)، «وتنوح الأرض كل عشيرة على حدتها» (زكريا ١٢: ١١). وماذا يحدث عند مجيء ابن الإنسان؟ «يزهر اللوز ويضخم الجراد وينشق قشر الأصف» (الجامعة ١٢: ٥). وكما يقول المفسّرون: اللوزة المزدهرة تدلّ على رحيل الشتاء (أي أن أجسادنا ستزدهر بعد الشتاء بزهرة سماوية) ويضخم الجراد (أي أن الروح المجنّحة تلبس الجسد)، وينشقّ قشرُ الأَصَفِ (ومعنى ذلك أن الأثمة الذين هم أشبه بالشوك سيتبدّدون).

٢١- مجيء الرب من خلال الكتاب المقدّس:

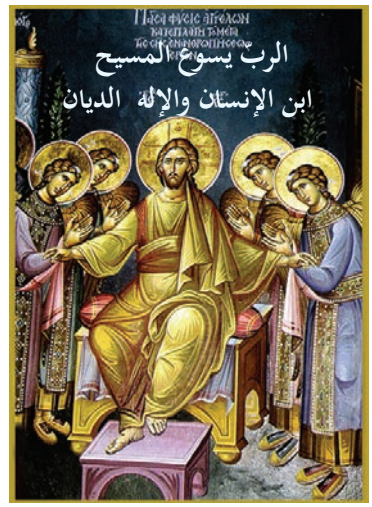

هل ترى كيف تنبأ الجميع بمجيء الرب؟ هل ترى كيف يعرفون صوت العصفور؟ أيّ صوت هذا؟ لنرى:«إنّ الرب نفسه. عند

الصيحة وصوت رئيس الملائكة والنفخ في بوق الله، سينزل من السماء» (١تس ٤: ١٦-١٧)؛ سيعلن رئيس الملائكة ويقول للجميع: «استيقظوا، اخرجوا للقاء الرب» (متى٢٥: ٦). رهيبٌ هو مجيء السيّد. يقول داود: «إلهنا يأتي ولا يصمت. قدّامه نار تأكل، وحوله عاصفة شديدة» (مز٤٩: ٣). تقول القراءة التي تُليت عليكم: «يأتي ابن الإنسان على سحاب السماء ويدنو من الآب؛ ويجري من جواره نهر من نار لاختبار أعمال البشر؛ فإن وُجدت أعمال أحد ذهبًا لمع، وإن كانت قشًّا التهمتها النار.»، «ويجلس الآب مرتديًا لباسًا أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقي» (دانيال ٧: ٩). لقد صيغ هذا بقالب بشري. لماذا؟ لأنه يملك على الذين لم تلوّثهم الخطيئة، إذ يقول: «سأجعل خطاياكم بيضاء كالثلج والصوف» (أشعيا ١: ١٨). وهو الدلالة على مغفرة الخطايا أو البراءة. إن الربّ الذي صعد على السحاب سيأتي على السحاب. لأنه هو نفسه سبق وقال: «ويرى الناس ابن الإنسان آتيًا على غمام السماء وله العزّة والجلال» (متى ٢٤: ٣٠).

٢٢- علامة الصليب في السماء دليلٌ على مجيء الرب:

ولكن ما هي علامة مجيئه التي لا تستطيع أيّة قوّة أن تقلّدها؟ يقول الربّ: «وتظهر عندئذ في السماء آية ابن الإنسان» (متى ٢٤: ٣٠)؛ وعلامة المسيح الحقيقية الخاصّة به هي الصليب. علامة الصليب الوضّاءة تسبق الملك، لكي تُظهر الذي صُلِب، **بحيث إذا ما رآها اليهود الذين طعنوه وتآمروا عليه، ينوحون عشيرةً إثْرَ عشيرةٍ بقولهم: هذا الذي ضُرِبَ بالقصبة، هذا الذي بصقنا في وجهه، هذا الذي أوثقناه بالسلاسل واحتقرناه بعد أن صلبناه. إلى أين نهرب من وجه غضبه**؟ ان الجيوش الملائكية ترابط حولهم، فَأَنَّى لهم الفرار؟ علامة الصليب رهيبة لأعدائه وفرحٌ لأصدقائه الذين آمنوا وبشّروا به، وتألموا لأجله. فكم يكون سعيدًا صديقُ المسيح! إن الملك المُمَجَّد الذي تَحِفُّ به الملائكة، والجالس مع الآب، لن يحتقر خدّامه الأخصاء. ولكي لا يختلط المختارون بِالأعداء: «ويرسل ملائكته بالبوق العظيم ليجمعوا مختاريه من جهات الرياح الأربع» (متى ٢٤: ٣١). انه لم يتخلَّ عن لوط الذي كان وحيدًا، فكيف يتخلّى عن أبرار كثيرين؟ أنّه سيقول للذين تجمعهم الملائكة في مركبات السحاب: «تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي» (متى ٢٥: ٣٤).